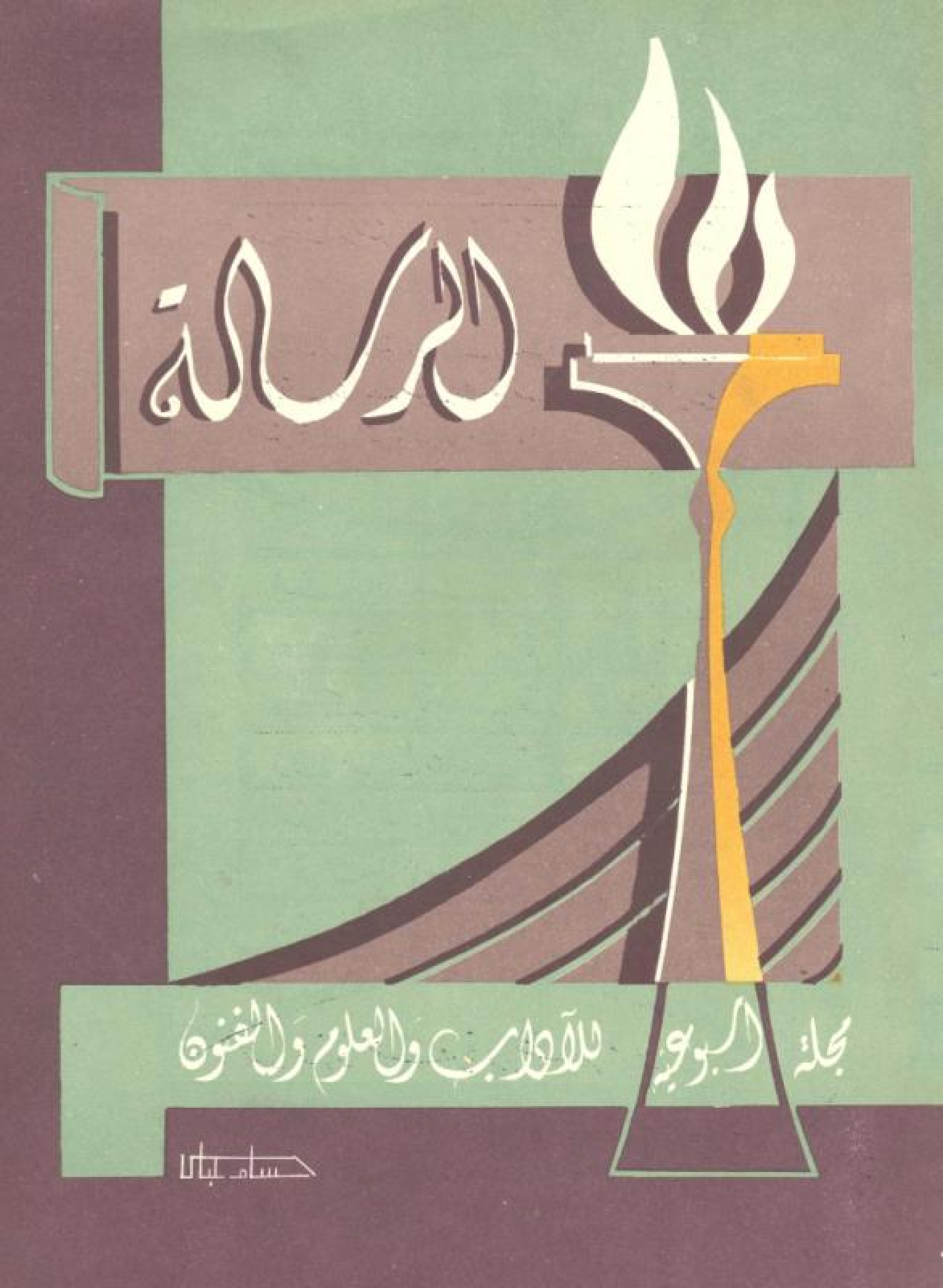

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

# الرسالة

تليفون ٤٢٧٩٤
٥٣٩٤٠

## في هذا العدد



الاشتراكات :
١٥٠ قرشاً سنوياً
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة

# آفة هذه اللغة .. هذا التعليم !!

بقلم : أحمد حسن الزيات

أحدثك اليوم عن اللغة وصلتها بالفكر وخطرها فى النهضة وأثرها في الوحدة وحظها من المدرسة ، فان الكلام من حولها يكثر ، والرأى فى أمرها يختلف • وما كان لكثرة الكلام عنها داع ولا لاختلاف الرأى فيها موضع ، لولا أن فوضى الأدب فى مصر قد جعلت من اللغة العربية وأدبها مسألة تريد الجواب ومشكلة تطلب الحل• ولهذه المسألة أو المشكلة أصلان •• الاستعمار والجهل •• أما الاستعمار فلأنه رأى أن الرابطة بين المسلمين على اختلاف الأقطار وتباعد الديار هى الدين واللغة • وما دامت أمة محمد روحا واحدا بالاسلام ولسانا واحدا بالعربية ، فان استغلالها موقوت وان طال ، وان استقلالها آت وان تأخر •

لذلك سعت فرنسا سعيها الدائب فى الجزائر ، لفتنة البربر عن دينهم باصدار الظهير المعروف ، وقطع العرب عن لغتهم بطردها من المدارس والدواوين ، ولكن دين الله كان أقوى من ظهير فرنسا ، ولغة المصحف كانت أبقى من لغة السيف •

واكتفت انجلترا على عادتها من الدهاء والكياسة بمحاربة الفصحى فدعت الى العامية بلسان موظفيها ومبشريها ومستشرقيها ، لأن اللغات العامية تختلف فى البلاد العربية اختلافا شديدا يكاد يجعل كل لهجة منها لغة مستقلة ، واذا انهزمت أمامها اللغة المشتركة وهى الفصحى استحال التفاهم وضعفت العقيدة ، وانقطعت الصلة ، وتفرقت الوحدة ، وتبددت القوة واستطاع المستعمر أن يبتلعها قطعة قطعة ، ولكن هذه الدعوة فشلت بضعف الاستعمار فى الشرق وقوة الوعى فى العرب •

وأما الجهل وهو الأصل الثانى لمشكلة اللغة العربية فقد خلف الاستعمار فى هذه الدعوة المجرمة •

والمراد بالجهل جهل أبناء العربية بها، وعزوفهم عن علومها وأدبها ، وهو جناية المدرسة القديمة • فقد فشلت في تخريج القارئ الذي يقرأ عن فهم ، والكاتب الذي يكتب عن علم ، والمفكر الذي يفكر عن أصالة ، وليس أدل على هذا الفشل من أن الطالب يتعلم النحو عشر سنين دأبا ، ثم لا يستطيع بعد ذلك أن يعبر عن فكره تعبيرا صحيحا لا بلسانه ولا بقلمه • فاذا دفعه استعداده الأدبي الى الكتابة آثر العامية على الفصحى ، ودعا الى التحلل من القواعد والقيود ليجعل الفوضى نظاما والخطأ مذهبا والعجز شركة • وعلة هذا الفشل هي النحو نفسه ، فان فيه من التناقض والشذوذ وتعدد الأوجه وتباين المذاهب ما ينفر الطلاب منه •

والذين صبغوه بهذه الصبغة هم الرواة الذين رادوا البوادي وشافهوا الأعراب ، ودونوا كل ما سمعوه ، فاجتمع لهم بذلك المترادفات والأضداد، وتعدد الجموع والصيغ للفظ ، واختلاف النطق للكلمة،وكان النحاة مضطرين الى أن يمطوا قواعدهم لتشمل هذه اللحون ، وتستوعب تلك اللهجات فأغرقوا القواعد في الشاذ ، وأفسدوا الأحكام بالاستثناء ، حتى ندر أن تستقيم لهم قاعدة أو يطرد عندهم قياس • وزاد في هذه البلبلة أن أعاجم النحاة أسرفوا في التعليلات والتقديرات حتى جعلوا النحو والصرف ضربا من الرياضة الذهنية والقضايا الجدلية التي لا يصلها باللغة سبب ، ولا يقوم عليها فن ولا أدب • فاذا كان القائمون على اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم ينظرون في النحو والصرف على أنهما قواعد للغة واحدة ولهجة واحدة ، فيقتصر منها على القواعد الثابتة التي تحفظ هذه اللغة وتقوم تلك اللهجة ، على شرط ألا تجرد علوم العربية من خصائص القوة والخصوبة والبراعة ، وألا تجعل بالاختصار أشبه بالهيكل العظمي ، فيه الخفة والبساطة والشكل ، وليس فيه العضل والعصب والروح • واذا كانوا يعيدون النظر في علوم البلاغة بعد أن اختلفت مذاهب القول ، وتعددت أغراض الكتابة ، واستحدثت المقالة والأقصوصة والقصة والمسرحية فيصلح منها الفاسد ، ويكمل الناقص ، ويفصل المجمل ، لتتسع لأغراض الحياة ومقتضيات الحضارة ومطالب العصر — رجونا أن تسفر جهود الثورة عن اصلاح لغوي كامل شامل يحبب اللغة الى الطلاب ، ويسهل الكتابة على الكتاب ، وينفي عن الشباب معرة الجهل بلغتهم وأدبهم فلا يدعون الى اللغة العامية ، ولا يتمردون على الآداب العربية ولا ينسون أن اللغة الفصحى هي عماد الثقافة الاسلامية ورباط الجامعة العربية ، وأن أدبها هو التراث الروحي المشترك الذي يثور في دمائنا لننهض ، ويصرخ في آذاننا لنتحد ، ويشتد في حدائنا لنلحق •

وفي اعتقادي أن أصل الأصول في الاصلاح اللغوي أن تصلح الطريقة التي تعلم بها اللغة ، فانها لا تزال تعلم باعتبارها ألفاظا مفردة وقواعد مجردة لا تتصل بالعقل ولا بالنفس ولا بالحياة • وكان الطريق الأمثل أن تعلم على أنها الوسيط الذي

تمثل فيه الأفكار والآراء ، فنحن لا نفكر الا بلفظ ، ولا نلفظ الا بفكر • والتلميذ منذ الحداثة يسمع الفكر باللغة ويقرؤه باللغة ويبرزه باللغة • فالتلازم بينهما شديد والتفاعل بينهما ظاهر • وهذا هو الفرق بين لغة تتكلمها منذ الصغر ، ولغة تتعلمها فى الكبر • فالعربى اذا تعلم الفرنسية مثلا وأراد أن يعبر بها فكر أولا بلغته الأصيلة ، ثم ترجم فكره الى اللغة الدخيلة •

وهذا يوجب على المعلمين أن يصلوا فكر الناشىء بالفصحى فى جميع أطوار عمره المدرسى ، فيسمع بها دروسه فى كل ما يتعلم ، ويؤدى بها أفكاره فى كل ما يكتب • ثم ينشأ للطفل أدب قائم بذاته يتألف من الحكايات والأساطير المنتزعة من أدب الشعب ، تيسر عليه اللغة وتحبب اليه القراءة ، وتضيق فى ذهنه الفرق بين لغة الكتابة ولغة الحديث • ثم يستعان على تقويم لسانه وتقوية ملكته بالأناشيد القصيرة والمسرحيات الخفيفة ، فاذا بلغ طور المراهقة وكان قد نشأ فى هذا الجو الجميل ، من القصص والشعر والغناء والتمثيل ، طلب المزيد من ذلك فى دروس الأدب،فتحلل له أبلغ الروائع ليذوق ، وتشرح له أجمل النماذج ليحفظ ، وتختار له أمتع الكتب ليقرأ ، حتى اذا تخرج وجد القراءة قد أصبحت من عادته فلا يكف عن الاطلاع ، والكتابة قد صارت من طبيعته فلا يضيق بالانتاج ، وبذلك يكون تعليم اللغة على هذا الوجه قد أحدث آثاره الثلاثة : أثره العقلى بربط الفكر باللغة ، وأثره النفسى ببعث اللذة من تذوق الأدب ، وأثره العملى فى خلق القدرة على القراءة والكتابة • واذا استطاع الشاب بعد المدرسة أن يقرأ فيفهم ، ويكتب فيحسن ، ويفكر فيصيب ، استطاع أن يجد السبيل الى كل علم ، والدليل الى كل غاية •

أما تعليم الفصحى بالعامية وتحفيظ القواعد ليقرأ بها الطالب كتاب المطالعة دون أى كتاب ، ويكتب بها موضوع الانشاء دون أى موضوع ، وتدريس الأدب على أنه سجل ولادات ووفيات ، وديوان حوادث وروايات ، فذلك هو الذى كره الدارسين فى اللغة ، وزهد الناشئين فى الأدب ، وصرف أدباء الشباب الى الآداب الأوربية •

ان الثورة التى هزمت الفساد وقهرت الاستبداد وحررت الوطن جديرة بأن تكفل الاصلاح للتعليم ، والاستقلال للأدب ، والحرية للفكر ، والحماية للفصحى ، لتسير الأمة صحيحة الجسد والروح ، قوية الذات والمعنى ، متحدة الرأى والهوى ، الى ما ترجوه لها من سلطان وعمران وعزة •

« أحمد حسن الزيات »

# ألوان

الجمل

## عادت العقرب فلنعد لها

عاد الشيخ مسيلمة زوج الشيخة سجاح الى حماقته المرضية ، فاخذ بعد فترة من الخور الهادئ يخبط رأسه الأجوف الهش بعمود « الرسالة » المسلح ، ويقول فى هذيانه هذه المرة : ان الرسالة التى تنفق عليها الدولة تناقض الميثاق بقولها فى تمهيد الادب للثورة « فى ثلاثة أرباع القرن الماضى كان الأدب العربى خامدا لا روح فيه . وكان الشعب المصرى تبعا لذلك غافلا لا وعى له . كان فى عهد محمد على أشبه بالدواب تساق بالكرباج فتسير ، وتسخر للانتاج فتذعن ، وتجازى بالحرمان فترضى ، ذلك لأن هذا الجندى التركى الأمى الحاكم كان قد قطع ما بين قلبه والدين ، وما بين نفسه والأدب ، وما بين عقله والعلم ، ولم يكن همه الا اعداد الجيش ليملك ، والا جباية المال ليسود » ..

فماذا فى هذا ياشيخ مسيلمة ..؟

أليس هذا هو الواقع الذى لا ينكره الا بهلوان يريد أن يأكل الحق ليقيئ الباطل .

لقد سمعت أن جدك كان « خوليا » فى جفلك من جفالك الأمراء ، فلا بد أن يكون قد حدثك أو حدث اباك عن الكرباج والسخرة والعونة والفردة والتملية ، لكنى نسيت انى أخاطب مخلوقا غير سوى ماجت به الصفراء والسوداء والألوان الأخرى من أخلاق الحقد والحسد والغل والشر والهزيمة والفشل ، فحاول أن يكظم ويتماسك الا أن الأمر كان أوسع من طوقه فانفجر هذا الخلط من صدره انفجار القيء ، وكان ــ والعياذ بالله ــ خلطا أسود كالحبر ، منتنا كالصديد ، ناقعا كالسم . ثم أخذ يرجع فى هذا القيء لعقا باللسان ، وغمسا بالقلم ، وهو ــ كما قال ــ قابع فى « زاوية الحجيرة الصغيرة التى يمارس فيها حياته العقلية والقلمية ! .. » يخط بقلمه الغليظ خطوطا كخطوط الأفعى فى الرمل حتى اذا استفرغ ما فى جوفه على وجه «الأدب» (١) وظن أنه نال من الرسالة ، وثار من كاتب المقالة ، خرج من حجيرة الكتابة كما تخرج النفساء من حجرة الولادة ، فتطرح بذراعه على كتف القابلة سجاح ، ووقف ينهج ويلهث حتى هدأ واستراح .

ولكن كبير الأمناء فى بلاط ابليس لا يهدأ ولا يستريح ، لأنه حسود ، والحسد حرارة فى الجوف لا تبرد ، وحقود ، والحقد مرارة فى النفس لا تطاق ، ومتخلف ، وليس فى قدرته أن يلحق ، ومنبوذ وليس من طبيعته أن يؤلف ، ومضيع لأنه ليس فى رجال الدين ولا فى رجال الأدب .

درس الدين من غير تقوى فارتاب ، ومارس الأدب من غير قريحة فاخفق ، وفقد شخصيته فى السلوك فاضطرب : لبس كل زى الا الطرطور ، وعمل كل شيء الا الخير ، وقال كل قول الا الحق ، وكان يفضل هذه المساوئ مجتمعة فى فرد أن صلح هذا المسيلمة لأن يكون دليلا ماثلا لدى الأخلاقيين على أن المرء لا تبلغ به مواهبه ، ولا تغنى عنه مكاسبه اذا فسد الطبع ، وساء الخلق ، واعوج الطريق .

**« ابن عبد الملك »**

---

(١) شبه مجلة تصدر شهرية فى القاهرة



# على أهلها تجني براقش

بقلم : محمود محمد شاكر

## - ٢١ -

**وتسائلني** : ما براقش ، وكأنك لم تسمع بكلبة كانت لحي من أحياء العرب ، كان بينهم وبين آخرين ترة ، فأغاروا عليهم في بعض الأيام ، ونذروا بهم ، فهربوا وفاتوا المغيرين ، ولكن تبعتهم براقش ، فتسمعت ، فسمعت وقع حوافر الخيل ، فجعلت تنبح ويعلو نباحها حتى سمعه المغيرون ، فاستدلوا على موضع نباحها ، فرجعوا يطلبون القوم حتى احاطوا بهم ، فاستباحوهم . فضربتها العرب مثلا لمن يعمل عملا يرجع عليه وعلى اهله بالضرر . ومعذورة براقش ، فانها كلبة لاتعقل ، فاذا فعل فعلها من يظن أن له عقلا به يدرك الامور ، فالشأن مختلف . فان الدواعي الى ارتكاب هذا المركب ، لاتدل على الجهل وخفة العقل لزاما مؤبدا ، بل ربما دلت على ماهو أبعد من ذلك وأعمق ، وعلى الذي هو اشنع من الجهل وخفة العقل . ربما دلت على سرائر تكتمها النفوس في أقصى ضمائرها ، ثم تأتي ساعة فتضيق بها النفس ، فتطغى ، فتنفجر ، فلا يملك العقل عندئذ أن يرد من طغيانها ، وان كان صاحبها في ظاهر امره ركينا متزمتا ، ضابطا لنفسه ، قادرا على ستر مايضمره حينا بعد حين . وأخشى أن أدخل في باب « الرموز » الأحاجية وسخفها ، وانها لشيء مقيت ، وأحب شيء الى ان اقول ماأريد جهرة بلا مداهنة ولا استخفاء ولا مداورة . بيد أن سياق الحديث يقتضيني ان أؤجل الكشف عماأريد ،حتى يقع في مكانه من كلامي ، فعندئذ يتبين من تكون براقش الاخرى ، براقش التي تدل على أهلها ، وتجني عليهم وعلى نفسها .

**أما الآن** ، فمن الخير أن نبدأ ببراقش الأولى التي دلت على نفسها ، وجنت على أهلها ، منذ كتبت « بلوتولند وقصائد أخرى » ، الى أن دخلت بحبوحة السمادير اللذيذة فيما كتبته عن « رسالة الغفران » ، ثم جاء بعد ذلك ماجاء من كريه مساويها ، وخبيث أقوالها وأفعالها . ومرة أخرى ، سأستبيح ما لم أكن له قط بمستبيح . سأستبيح أن أتحدث عن شيء لم أقف عليه مكتوبا على الورق ، مطبوعا في كتاب أو صحيفة ، موقعا عليه بتوقيع صاحبه ، أو بشيء من الدلالات يقوم مقام التوقيع . ولا ارتكب هذا المركب لأني أحب أن أثبت رأيي وأؤيده بشيء خارج عما في الصحف والكتب والمجلات ، بل لأن سفاهة هؤلاء السفهاء قد جازت كل حد ، وفاقت كل تقدير . وهي سفاهة مدبرة ، لا سفاهة مرتجلة ، قد اتخذوها مطية ذلولا الى غاية يظنون أنهم بالغوها ، لما يرون من تهاون من يملك ردعهم وتأديبهم ، أو من امهاله لهم ومده لهم في الطول ( وهو الحبل الطويل الذي تربط به الدابة ، لترعى ما ترعى ، ولكن في نطاق محدود ) . وقد بينت مرارا أن من وراء هؤلاء السفهاء شياطين قد ترهبوا ولبسوا المسوح في أديرة « **التبشير** » ، و « **الاستعمار** » ، وتراهم كأنهم عباد خاشعون من الذل والعبادة ، ضارعون من المسكنة والرحمة ، يلوذون بالجدران قد تدرعوا الفقر يراءون الناس حتى يقال : هم قوم لا أرب لهم في غرور الحياة الدنيا ، ولاحظ لهم من حطامها . والحقيقة أن هذه الشياطين هي الكهوف التي اليها يلجأ السفهاء ، وانما هذا منهم ختل ومخادعة ، وانما يمشون الخفاء ، ويدبون الضراء (أي يتوارون بالضراء ، وهو الشجر الذي يواريهم ) ، نفيا للتهمة عن أنفسهم ، وليكونوا في مأمن من الريبة والشك ، فالريبة ربما أفضت الى انكشاف سرهم للناس ، وهو أخوف ما يخافونه .

وعند هذه الكهوف تبيت أمور بليل . لم أكن معهم ، ولكني أجد نبض هذه الحركة ظاهرا في كل ما أقرأ وما أسمع . أجده في الصحف ، والمجلات ، والكتب ، والأحاديث ، لأن كهوف التبشير قد اتخذت ضروبا وألوانا من السفهاء تعمل لأهدافها وأهداف

ابن أمها « الاستعمار » ، من كل صنف ولون · منهم من يدرك لأنه مستودع سر ، ومنهم من لا يدرك لأنه لا يستقيم أمره الا أن يقاد ، ومنهم من يوسوس له من حيث يستميله الهوى · ومنهم من يتخدع بظاهر من القول لغفلة يعيشها ويعيش بها في الناس · ولكنهم جميعا يعملون كأنهم يعملون على غير اتفاق ، أدرك ذلك من أدركه ، وجهله من جهله · واذا فعلت كهوف «التبشير» غير هذا، وسلكت غير هذا المسلك ، فانها تكون عندئذ غير صالحة لشيء · وقد اكتسبت بطول الدربة قدرة على اخفاء معالم ما ترتكب ، فهي تعفى على الآثار التي تهدى اليها ، فاذا أراد أحد أن يقتفى آثار الغادين اليها والرائحين ، لم يجد الا الثرى الجعد الذى لا أثر فيه لدلالة أو هداية · واذا كنت أنا قد استطعت ، وأنا في مكاني هذا من عزلتي ، أن أعرف مواقع الأقدام الذاهبة والآيبة ، وأتوسم أصحابها ، فقد أتاحه لي طول الانصات لما أسمع ، واختلاف الأخبار الى مرة بعد مرة عن غير قصد من راويها ، وما دربت عليه من ربط الحوادث بعضها ببعض بعد طول تأمل · ومن أجل هذا يفزع من يفزع من مترهبة المبشرين ، حين يراني قد أكثرت من ادماج بعض من أذكرهم في مكايد « التبشير » ، قاطعا بأن لهم صلة به لا تخفى على · ويبلغني فزعهم واستنكارهم ، فبفزعهم واستنكارهم أعلم أيضا أني قد أصبت بالظن مالم أدركه باليقين عين اليقين · وأنا أدع هؤلاء لفزعهم ، فانه وحده كفيل بانزالهم المنزلة التي يستحقونها من الهوان ·

أما « **اجاكس عوض** » صبى هؤلاء المبشرين الظاهر لأعيننا وأسماعنا ، كاتبا ومتكلما ، فهو وأشباهه الذين تتناول كشف مستورهم ، وتتعاطى صناعة « الفراسة » « والقيافة » في نسبتهم الى ماتنسبهم اليه من أصول يمتون اليها بنسب قريب أو بعيد ·

والا فحدثني ، كيف يتفق أن نجد العالم العربي والعالم الاسلامي في هذا الموج المتلاطم من الأحداث ، تحيط به قوى العالم الصليبي كله ، وتأخذه من هنا، وتهزه من هناك ، وترسل الفتن في بلدانه كلها ، وتتألب على المكان الذى تشخص اليه أبصار العرب والمسلمين من كل ناحية ، وترميه عن جماعة بيد واحدة بسهامها مسمومة وغير مسمومة ، ثم يأتي في هذا الوقت نفسه أفاق يتثقف ( أي يدعى أنه مثقف، وهو لفظ جديد اخترعته لهذه المناسبة ! ) ، فيهتبل فرصة موت زميل القديم الدكتور محمد مندور ، فيقف يتكذب ( أي يرسل الأكاذيب ) ؟ يزعم أن مندورا كان هو « أخيل » ، وأنه هو « أجاكس بن تلامون » ، وأنهما خرجا في صباح الحياة ( يعني في سنة ١٩٣٧ ، كما ذكر في مقاله ) ، الى قصر ربته « أثينا » ، وبين أن هذا القصر هو قلعة «الاستعمار» و «الوثنية» و «التبشير» أوربة المسيحية الصليبية حيث التقيا بباريس سنة ١٩٣٧ · ثم يزعم أن ربته هذه قد صنعت لهما دروعا من الفكر يتحصنان بها ، وسهاما من سهام الحرية يقاتلان بها ، ثم يزعم بعد أنهما عادا من أوربة ليحاصرا «طروادة» مدينة الموت ذات الأبراج السوداء والأسوار العالية ، وأنهما جاءا يومئذ ليدمرا « طروادة » ويحرقاها كما أحرقت طروادة في القديم على ملك الاغريق الاول · وبين أن « طروادة » هذه كانت هي مصر العربية الاسلامية بتراثها كله ، خيره وشره ، فيما قبل سنة ١٩٥٢ ·

ولكنه لا يقتصر على هذا التاريخ الماضي ، وان كان كاذبا في ادعائه ما لم يكن منه قط ، بل يعمد الى التاريخ الذى نعيشه اليوم ، فيرسم لنفسه صورة من الرموز ، ويرسم لنا ولبلادنا صورة أخرى من الرموز ، فيدعى أن «طروادة الجديدة» وهي مصر العربية الاسلامية فيما بعد سنة ١٩٥٢ ، قد أرسلت عليه وعلى مندور خنافسها وهوامها وخسيس حشراتها من خزائن « **الملك ميداس** » ، ويزعم كاذبا ان شاء الله أن مندورا ، وهو أخيل !! قد استدعاه وهو يحتضر وقال له : «يا أخي أجاكس ، البس دروعك ، وتأهب لنخرج سويا ( يعني : معا ، ولكنه فصيح ) في غزوة جديدة عظيمة ( وتأمل هذا الوصف : عظيمة ! ) لنطلب هذه المرة الملك ميداس نفسه ذا الجعارين الذهبية » وبين ، لمن كان له أدنى عقل ، أن أمر « الملك ميداس » أهم عندهما من أمر « طروادة » لأن « طروادة الجديدة » رهن بقاؤها ببقاء «الملك ميداس» · فاذا ماعادا من طلبه ظافرين ميمونين ، وأسدلا نفسه على نصال السهام وظبات السيوف ، فقد سقطت « طروادة الجديدة » تحت أقدامهما راكعة ذليلة ، ولم يبق الا أن يتحقق ما زعم من وصية مندور وهو يحتضر اذ قال له ، فيما زعم هذا الكذاب : « مدينة الموت ذات الأبراج السوداء والأسوار العالية ، لابد أن تدمر ، ولابد أن تحرق كما أحرقت طروادة في القديم » · ثم يزعم كاذبا ان شاء الله أن يجمع كتائبه وجيوشه وفرسانه ليقول لهم : « اياكم أن تقنطوا ،

مهما كثرت من حولكم الهوام والأشباح » . ويعنى بذلك ما أرسله عليهما « الملك ميداس » من الخنافس والهوام وخسيس الحشرات !!

فحدثنى كيف يتفق أن يتألب العالم الصليبى الاوربى كله اليوم على «الملك ميداس» وعلى «طروادة الجديدة » ، وأن يأتى هذا المأفون فى مسلاخ ثور اغريقى ، فيتوهم نفسه « اجاكس بن تلامون » ، يرى فيما تريه سماديره أنه خرج يطلب «الملك ميداس» نفسه ، ثم يحرق «طروادة الجديدة» ويدمرها تدميرا ؟ من « اجاكس عوض » هذا بمجرده ، وما قيمته فى الناس ؟ وهو ولو دخل قرية من قرى مصر ، وتكلم فيها بمثل الذى يتكلم به ، لغرق فى بحر مما ترسله عليه أفواه الناس من شىء غير الكلام ! واذا كان هذا السفيه العقل يشك فيما نقول ، فليجرب .

ولكن السفيه العقل سفيه أبدا ، اذا أفصح واذا رمز . فهذا المسلوس العقل ، ( وهو الذى يسيل عقله ويتقاطر ) ، المهلوس النفس ، (وهو الذى أصاب نفسه الهلاس ، وهو داء كالسل ) ، خيل له ما يرى ، أو ما يوحى اليه من تألب ديار الصليبيين الأوربيين على بلادنا وبلاد العرب والمسلمين ، أن الأمر قريب سهل ، وأنه اذا لجأ الى الرمز ، فهو قادر على أن يخرج من تبعة ما يقول بمهارته ، لظنه أيضا أنه « مثقف » ، وليقينه أن « **الملك ميداس** » ، وشعبه من أهل «طروادة الجديدة» ، لم يخرجوا عن أن يكونوا جماعة من البله الجهلة السخفاء ، الذين لا يحسنون شيئا من الثقافة ، ولا يستطيعون حل « رموز اليونان وأساطيرهم » . وكذلك يتاح له أن يذهب الى الكهوف المظلمة وراء أسوار أديرة «التبشير» ، والى المقاهى التى ينحط على كراسيها شيعته وأصحابه ، فيقول لهم : « انظروا الى شجاعتى ! ألا تسمعون ؟ ألا تدركون ؟ « طروادة الجديدة » هى هذه التى تعرفون ، و «الملك ميداس» هو هذا الذى ترهبون ! ما أشجعنى ، ما أذكانى ، ما أرمزنى !! أنا اجاكس عوض ! هل رأيتم شجاعا كمثلى ! هل علمتم ذكيا كأنا ! هل أبصرتم رامزا كحضرتى ! وسترون كيف أتحدى هذه الخنافس والهوام وخسيس الحشرات التى يرسلها على « **الملك ميداس** » ! لقد قلت قديما أشياء شنيعة وكتبتها ، وكتبت الخنافس والهوام عنى ما كتبت ، فهل استطاع أحد أن ينالنى بسوء ؟

**ثم كتب « اجاكس عوض » بجرأته كلمة أخرى ، كما وعد أصحابه ، ودفعها الى مطبعة الأهرام ، تخرج فى صحيفتها الأدبية فى يوم الجمعة . ولكن جاء ما لم يكن فى الحسبان ! اطلع عليها رئيس التحرير ، فمنع نشرها، وخرجت الصحيفة بريئة من « اجاكس عوض » . ماذا يفعل ؟ ماذا يقول لشيعته ؟ ماذا يقول لمن حركه من رهبان « التبشير » ؟**

ولو كان هذا انسانا عاقلا لسكت ، ولقبل ظهر يده وباطنها حمدا لله وشكرا على أن وجد من يمسك بحجزته حتى لا يرمى نفسه فى النار . ولكن ماذا تراه فعل ؟ أخذ تجربة المقالة من المطبعة، واستودعها حقيبة ذيله وحامل حقيبته المسمى « غالى شكرى » ، وأرسله يطوف على مجالس الشيعة الفارغين ليقرأوها، وليقال ان « اجاكس عوض » ، لا يقل جرأة ولا شجاعة عن ذلك الثور الاغريقى « اجاكس بن تلامون » ، الا أن « طروادة الجديدة » أبت الا أن تضطهده ، ولا سيما بعد أن آثر « أخيل » أن يقول: وداعا !! وتركه وحده فى هذه المحنة الشقية ، يتمنى هو أيضا أن يقول : الوداع ! كما جاء فى مرثيته المتفقة بأساطير اليونان ! لم فعل المسكين ذلك ؟ أيريد أن يجعل ذلك برهانا ساطعا على ما يلقاه فى « طروادة الجديدة » من اضطهاد ، ومن مصادرة لحريته فى كتابة رأيه ؟ ممكن أن يقال : نعم !

بيد أن هذه المقالة كانت تتضمن حادثة قديمة ، حين أراد أحد كبار المسيحيين أن يسلم ، حتى يتمكن من طلاق امرأته . وكان لهذا الخبر يومئذ ضجة مشهورة ، وتورط مندور فكتب شيئا بالغ الغرابة ، واقترح أن يحال بينه وبين الاسلام لأسباب ذكرها ، ثم طالب بوضع تشريع شامل للأحوال الشخصية ، لا مكان فيه للدين ، ( والدين هنا ، هو الاسلام بلا شك ) ، يسرى على المسلم وغير المسلم على سواء . فظن المسكين أنه اذا روى هذا الخبر من تاريخ مندور ، ثم أتبعه بالتعليق عليه ، وأيده تأييدا ما ، فقد بلغ غاية التحدى لخنافس « **الملك ميداس** » ، وأن « أخيل » اذا كان قد ودعه ومضى ، فان هذا الفعل ضرب من الشجاعة ينفرد به ، وكأنه أشعل النار فى حواشى «طروادة الجديدة» حتى تأتى الساعة فتلتهمها النار وتدمرها تدميرا ! هكذا ظن ! جمجمة انسان فيما ترى نواظر الرائين ،

الا انهـا فارغة مظلمـة ، كأنها « صالة سينما » ، أعدت لعرض أفلام السمادير !

ان هذا كله سخف ، ولكن ما معناه ؟ فهذا فعل « اجاكس عوض » يوما بعد يوم ، ومنذ أشهر كتبت عن مثقف آخر ، يقال له « **الدكتور زاهر رياض** » ، الف كتابا عن الحبشة وسماه « **الاسلام فى اثيوبيا فى العصور الوسطى ، مع الاهتمام بوجه خاص بعلاقة المسلمين بالمسيحيين** » ، ولم أتعرض لكثير مما جاء فيه من البلايا والرزايا ، وانما اقتصرت على مايعنى فى الدلالة على أنه هو أيضا « صبى مبشر » ، شديد الشبه باجاكس عوض ، وان كان يفارقه فى هدوء الطبع ، وخفاء الخطو ، وقلة التهور . وأوضحت أن صبى المبشر هـذا لم يستح ، ولم يبـال أن يضمن سياق كلامه طعنا متوارثا منذ عبدالمسيح بن اسحق الكندى ، حيث يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما تعلم على راهب يقال له سرجيوس، فجاء هذا الأستاذ المبشر يدس فى كلامه أن النبى صلى الله عليه وسلم : « كان يعـاشر أهل الكتـاب ويتعلم منهم » ، أو كما قال ( انظر المقالة الثالثة عشرة ) ، وأتى مع ذلك بهراء كثير وسـوء أدب ، وهجم على تكذيب أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، معتمدا على شىء لا قيمة له يقال له « كبرانجست » ، واحدث لنـا فتـاوى فى ديننا بجهله ، وسخر من مؤرخى المسلمين ، وهو لم يفهم شيئا مما قالوه ، بل كذب أيضا فيما نقل عنهم ، ورواه على غير وجهه ليضحكنا منهم بخفة دمه . ومع كل ذلك ، فلم تكد تمضى أيام حتى منح هـذا المبشر درجة « مسـاعد أستاذ » بعد أن كونت الجامعـة لجنة أخـرى ، غير اللجنة التى رفضت أن تعد ما يؤلفه كتبا تدخل فى نطاق تأليف الاساتذة الجامعيين ! وكان الحق فى شأنه أن يفصل من الجامعة ، ويحال بينه وبين افساد عقول الطلبة فى معهد الدراسات الافريقيـة ، لأنه لايزيد على أن يكون مبشرا ضالعا مع أدوات الاستعمار ووسائله وآرائه ومعتقداته ، كما يتبين ذلك من قرأ شيئا من كتبه الأخـرى ، غير هذا الكتـاب الذى كشفنا قليلا جدا مما جـاء فيه . والصلة بين هذا الأستاذ وبين دمية المبشرين « أجاكس عوض » ، صلة معروفة .

ثم يجىء صبى آخر ، تخرج من كلية الحقوق منذ سنتين ، وهو « ماهر سامى يوسف » ، ذكرنا أمره فى المقالة الثامنة عشرة ، فجاء يشهد على نفسه أن ليس له المام كبير بالأمور الدينية ، ( وليس عنده بالطبع أى المام بها ، لأنه غير مسلم ) ، فيهيجه أن رأى وكيل نيابة نشر كلمة فى جـريدة الأخبار ، يطلب اعادة حكم الله سبحانه فى محكم كتابه ، بقطع يد السارق ، فيرسل الى الأستاذ الصاوى رسـالة يصف فيها هذا الحـكم الالهى بلسـان سليط بأنه انقضاض بمنطق السلطة والقوة الغاشمة على الفاعل، فتسومه صنوف العذاب والانتقام ثمنـا لنشـاطه الاجرامى ، ويعده تشريعا لا انسانية فيه ، ويصفه بعد مكر طويل بأنه تشريع وحشى ، ثم يهيج أيضا فى آخر كلمته على من زعم أن القوانين المدنية أثر من آثار الاستعمار ، ثم يجن جنونه فيختم كلمته بقوله: « هذه وجهة نظرى ، أسوقها كما أراها ، أرفض فيها بشدة الرأى الذى يطالب باعادة توقيع عقوبة قطع اليد بالنسبة للسارق » ، كأنه يظن فعلا وحقا وصدقا أن له وجهة نظر ، وأنه من أصحاب الرأى . وهذا الغلام السليط ، يرى أكثر ما يرى أيضا فى أذيال « أجاكس عوض » .

**ثم يأتى انسان آخر يقال له «سامى داود»** ( وهو مشهور ، ولكن سـياق العبـارة يقتضى ما أثبت ) فيهتبل هو أيضا موت منـدور ، كما فعل صاحبه وصـديقه من قبـله « أجاكس عوض » ، فيقف هو أيضا على تلال أورشليم ليتكذب ، وذلك فى صحيفة الجمهـورية ( ٢٤ المحرم سـنة ١٣٨٥ ) ، فيقـول ما نصه :

« وكانت حياتنا الجامعية ( يعنى فى سنة ١٩٣٩، وكان هو طالبا فى قسم اللغة العربية ! ) ، قد بدأ ينتابها الركود والملل .. أشباح الرجعية كانت قد بدأت تتسلل الى أجواء جامعاتنا العزيزة ؛ ممسكة بأيديهـا غـلالات قاتمـة تنشرها على كل شىء » ، وبالطبع لا يستطيع أن يزعم هذا الرجل أنه يعنى بالرجعية ، ما زعمه « أجاكس عوض » ، من أنه عنى بالمدينة السوداء ذات الأبراج الكئيبة ، والأسـوار العالية : الرجعية ، وأنها هى رجعية السـياسة ، ورجعيـة الفـكر ورجعيـة المال ، ورجعيـة النظم الاجتماعية ، لا يستطيع ذلك ، لأن مصر كلها على هذا الرأى ، كانت تعيش فى رجعية ، فى الجامعة وفى غير الجامعة ، وانما يعنى شـيئا بعينه ، وصل اليه

بعد أن تعب وادعى ما لم يكن له فيه ناقة ولا جمل، كما يقولون ، فقال :

« وخلت الجامعة من الحماس ( وهذا المصدر اكتسبه من دراسته فى قسم اللغة العربية !! ) • لم نعد نعرف من المعارك ، الا معركة تدور حول كتاب لبرناردشو يقرؤه طلبة قسم اللغة الانجليزية، فتاتى جحافل الرجعية ( خذ بالك جدا ! ) تعتدى على كلية الآداب ، وتقتحم مكتب عميدها ، وتحطم ما تستطيع تحطيمه من أثاثها » •

وقبيح بالمرء أن يكون كذابا ، وقديما كان يقال : « اذا كنت كذوبا فكن ذكورا » • فالمعركة التى يذكرها سامى داود ، وهو انسان مترفق جدا ، ناعم الملمس جدا ، لم تكن حول كتاب نكرة لبرناردشو ، ولم ينفرد بها هذا الكتاب وحده • فيحسن اذن أن نقص القصة ، ليقف القارىء على الروابط التى تربط هؤلاء الناس بعضهم ببعض ، على رغم مايفزع المترهبة من سكان اديرة « التبشير » •

كانا كتابين يدرسان معا ، فى سنة واحدة ، احدهما هو « جان دارك » ، لبرناردشو • وفى سياق احاديث هذه القصة ، مقالة لرجل يقال له « كوشون » ، ذكر أن جان دارك كانت تبعث بكتبها الى ملك الانجليز ، لكى يخضع لأمر الله الذى أوحى اليها ، فيعود الى جزيرته ، والا باء بغضب من الله ، وانها هى التى ستنزل عليهم غضبه • ثم يقول ما نصه : « الا فاعلموا أن ارسال هذه الكتب عادة جرى عليها قديما محمد عدو المسيح » ثم مضى يصف أمر هذه الفرنسية المتنبئة فقال : « وبمثل هذا قام عربى جمال ، فطارد المسيح وكنيسة المسيح ، حتى طردهما جميعا من أورشليم ، ثم مضى يضرب فى الأرض ، فيبث فيها الفزع والخراب • حتى اذا بلغ مضربها تمام جبل الأبواب ( وهى جبال البرانس ) دونه ، وقامت رحمة الله ، وحيل بين فرنسا وبينه، فنجت من لعنة الله • فماذا صنع هذا الجمال العربى فى بداية أمره أكثر مما صنعت هذه الفتاة ؟ جاءه الوحى من جبريل ، وجاءها من القديسة كترينة ، والقديسة مرغريت ، والمبارك ميخائيل • وأذن فى الناس بانه رسول الله ، وكتب الكتب الى الملوك باسم الله » • ثم يقول بعد قليل : « انا والحمد لله الآن بخير ، فليس فى الدنيا الا محمد ومخدوعوه ، والا الفتاة جان ومخدوعوها • ولكن كيفَ يكون الحال ، اذا خالت كل فتاة أنها جان ، وخال كل رجل أنه محمد ؟ »

ثم تاتى بعد ذلك أسطر قالها رجل من رجال القصة يقال له « درك » ، فزعم أنه حج الى بيت المقدس ، ورأى بعض اتباع محمد صلى الله عليه وسلم : قال : « فلم أجدهم من سوء الأدب بالمكانة التى أفهمونيها قبل ، بل وجدت لهم أدبا لا يقل من بعض الوجوه عن أدبنا » •

وبالطبع ، هذا شىء لا يشير سامى داود أو أجاكس عوض ، ولكنه أثار «الرجعية» أى المسلمين ، ولكن هل كان هذا وحده الذى أثارهم ؟ لا ، بلاريب! كان فيما هو مقرر على قسم اللغة الانجليزية كتاب آخر ، لكاتب انجليزى آخر يقال له : « والتر سافيج لاندور » ، واسمه « محاورات من الخيال » • وفى الطبعة المقررة على هذا القسم ، فصل كامل بعنوان : « محمد وسرجيوس » ، يستغرق من صفحة ١٨٧ ، الى صفحة ٢٠١ ، وهى محادثة توهمها لاندور، بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين هذا الراهب سرجيوس • ولا يعنينى هنا أن أنقل من نصوصها شيئا ، على قبح ما جاء فيها ، ولكن هذه الصورة التى صور بها هذا الكاتب نبينا صلى الله عليه وسلم ، صورة سخيفة جدا ، لامعنى لها • وأمر «سرجيوس» أمر معروف عندنا منذ كتبه عبدالمسيح ابن اسحق الكندى ، وقد نقلته بنصه من رسالته التى طبعها المبشرون مرات عديدة ، وكانوا يوزعونها فى مصر مجانا أيضا ، ( انظر آخر المقالة الخامسة ) ، وخلاصتها ان هذا الراهب أحدث حدثا أنكره عليه أصحابه من النصارى ، وأخرجوه من كنيسته ، فأفضى الى مكة ، ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يزل يستميله ، وتسمى عنده نسطوريوس ، ولم يزل يخلو به حتى أزاله عن عبادة الأصنام ، ثم صيره داعيا وتلميذا له يدعو الى دين نسطوريوس • و « تخاريف لاندور » ، لا تخرج عن هذه القصة ، بل هى شرح مفصل لما يزعمون أنه كان كيف كان •

ثم فى هذا الكتاب أيضا محاورة اخرى بعنوان : « الكونت جلايشيم ، والكونتيسة ، ووالداهما ، وزائدة » ، ولكن هذه المحاورة فى طبعة أخرى وقعت لبعض الطلبة ، دلهم عليها بعض الأساتذة ممن سياتى ذكرهم ، جرى فيها الحديث على لسان

« فلهلم » ابن الكونت جلايشيم ( طبعة افربمانس ص : ٢٧٦ ) :

« قال فلهلم : لست طفلا حتى اتوهم أن يشر فارس مسيحى من وجه متمرد تركى ( أى مسلم ) فى المعركة . ولكن النصارى قد يؤخذون أحيانا بحيلهم وأحابيلهم وبكلبهم محمد » .

فتقول له أخته أنا بلا : « وأنا ، وان لم يكن بينى وبينك سوى سنة واحدة ، فليس يبلغ بى الحمق ان أصدق بوجود كلب يقال له محمد . واذا صح انه موجود ، فعندنا كلاب خير منه ، وأكثر امانة ، وأشد قوة .

فيقول فلهلم مخاطبا اباه : لا أكاد املك نفسى فلا أضحك ، اذا ما ذكرت ما يطوف فى رءوس الفتيات من خيالات عن محمد . فنحن نعلم أن محمدا ما هو الا كلب له ثلاثة ذيول كذيول الخيل » .

**واستغفر الله مما خط القلم** ، وصلى الله على محمد صلاة طيبة نامية مباركة ، ولعن الله من يقول فى رسوله أو فى أحد من رسله مثل هذه المقالة . ثم نسأل هذا الآدمى المهذب المسمى « سامى داود » ، أترضى هذا ؟ واذا قلت : انى لم أكن أعرف ! فيقال : فما الذى أدخلك فيما لا تعلم ، حتى صيرت نفسك مؤرخا لفترة من الفترات التى عشتها فى الجامعة ؟ واذا كان الفضول قد بلغ بك هذا المبلغ ، وأنت تعمل فى الصحافة ، أفتظن أحدا يأمنك بعد ذلك على خبر تقصه أو ترويه . ومع ذلك ، فأنا أسألك : اذا كنت قد جعلت نفسك فى كلمتك مؤرخا ، وجعلت نفسك ممن كان يقود شباب الجامعة ، لتجمع الزعماء « بالدماء ليقودوا معارك الحرية » ، الم تكن حقيقا بأن تعرف حقيقة ما أثار كلية الآداب وكلية الحقوق وغيرهما ، حتى جاءوا يطالبون بالغاء تدريس هذين الكتابين ، وأنت أيها الزعيم الشاب قد سميتهم « غزاة » جاءوا ليشتبكوا مع طلاب كلية الآداب « فى معركة سخيفة تافهة » !!

**ولكنى محدثك ، اذا لم تكن تذكر** ، بمن فرض هذين الكتابين على طلبة قسم اللغة الانجليزية ، أتعرف أم تنكر أنك تعرف أيضا ، رجلا كان يقال له « كرستوفر سكيف » ، كان جاسوسا بريطانيا محترفا ، وكان شرلتانا ، كصاحبك ، وقحا سيء الأدب ، وكان قد الف جماعة يقال لها « جماعة اخوان الحرية » ، أمرها مشهور فى محاكمات الثورة ، وكان يختار من الطلبة وغير الطلبة لهذه الجماعة شيعة وأعوانا ، ويجعل للجماعة ظاهرا وباطنا ، فالظاهر أكثره ممن يحمل أسماء مسلمة ، والباطن لا داعى لذكره فأنت أعلم به ، ولا بأس ، اذا كنت قد نسيت ، أن أذكرك بأن صاحبك «أحاكس عوض » أهدى اليه كتابه « بلوتولند وقصائد أخرى » فى سنة ١٩٤٧ . وهذا الرجل كان مبشرا ، وكان جاسوسا محترفا ، وكان يقوم فى الجامعة بعمل تبشيرى سياسى فى آن واحد ، وهو أحد الذين فرضوا الكتابين ، فى سنة واحدة ، على طلاب القسم الانجليزى . **هذا واحد** .

**وآخر ، هو فرنس** ، وكان ناظرا علينا فى المدرسة الخديوية ، وأنا أعلم به منك ، وأعلم ماكان عليه من الالتواء والشذوذ الذى كان ينشره بين طلبة المدرسة . وهو الآخر جاسوس مبشر محترف ، وان كان يظهر الركانة والاتزان والصرامة ، وهو أيضا من أعوان « جماعة اخوان الحرية » ، ومن منشئيها .

**وثالث** : وهو دافيس الأعرج ، الذى كان يقول يومئذ لبعض طلبة قسم اللغة العربية ، وأنت يومئذ فيه : أتظنون أن قسمنا هذا كقسم اللغة العربية ، يمنح الدكتوراه لكل من كتب كلمتين عن القرآن ! يقولها علانية بلا حياء ولا مواربة . وهو أيضا من الجماعة .

**ورابع** يقال له « **بيفن** » ، وهو معروف عند من كان يرتاد نادى الجزيرة ، ويعلم عنه الناس صلته بالمخابرات البريطانية ، واشتراكه فى كثير من المؤامرات التى كانت تحاك يومئذ فى بلادنا ، وهو من الجماعة أيضا .

أتذكر هذا كله أم تراك نسيته ! واذا كنت قد نسيته فلا تنصب نفسك مؤرخا تشفى نفسك باحتجان الأخبار ، ثم سوقها على غير وجهها الذى كانت عليه . وينبغى الآن أن تسأل نفسك : فى أى أمة يقبل الناس أن يدرس فى مدارسها أو جامعاتها كتابان فيهما من البذاءة والتعريض ، ما فيهما ؟ أو تظن أن روائع برناردوشو ، ليس فيها كتاب يستحق أن يدرس فى الجامعة سوى هذا الكتاب ؟ وهل تظن أن دراسة الأدب الانجليزى فى الجامعة المصرية ، اذا هى خلت من كتاب لاندور ،

اصابها الخلل واضطربت ولم يصبح لها معنى ؟ وكاتب مقدمة النسخة المطبوعة فى اكسفورد يعترف صراحة بانه عند عامة القراء مجرد اسم ، وان المحدثين يغفلونه ولا يقدرونه حق قدره • فما حاجة طالب مصرى الى مثل هذا الكاتب ؟ وما حاجته حتى يكون موضوعا للدراسة دون سائر كتاب الانجليز ؟ وما معنى أن يتضمن كتابان معا ، وفى سنة واحدة ، طعنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ واذا وقف الطلبة المسلمون على مثل هذا البذاء المكتوب ، وعلى هذا الاتجاه المقصود الذى لا يمكن ان ياتى اتفاقا بحال من الأحوال ، فهل تراهم معذورين اذا ثاروا ، ورأوا أن الأمر قد خرج عن حدود الأدب ؟ واذا كان من كان قد امتنع عن الاستجابة لطلبهم الغاء تدريس هذين الكتابين ، فهل يمكن أحدا ان يؤيده فى امتناعه ؟ ان قسم اللغة الانجليزية ، كان متسما معدا للتبشير الثقافى الصفيق ، وكان معدا لاكتساب مروجين للتفاهم بين المصريين وبين مستعمريهم ، ولكن كيف اطالبك أن تعرف هذا ، وأنت لا تستطيع أن تتذكر شيئا ؟

**واذا شئت أن تعرف بعض ما أقول ،** فانى محدثك بانك نشرت كلمتك هذه فى يوم الثلاثاء ( ٢٤ من المحرم ١٣٨٥ ، ٢٥ مايو ١٩٦٥ ) ، وفى اليوم التالى ينشر من لا أراك تجهله ، وهو الأستاذ « **أسعد حليم** » وذلك فى جريدة الأخبار ( ٢٥ من المحرم ١٣٨٥ ، ٢٦ مايو ١٩٦٥ ) فى باب « **فى كلمتين** » يقدم للناس خبرا مهما جدا ، عن موافقة مجلس اللوردات البريطانى على تعديل قوانين الشذوذ الجنسى ، واباحته للبالغين الرشد !! فيذكر حفظه الله ، كتابا يتحدث بصراحة غريبة عن الشذوذ ، ويعده حالة من حالات الطبيعة !! ويذكر كثيرا من الشخصيات التى مارست هذا الشذوذ ، فكان ممن ذكرهم كتشنر ، فياتى هذا المحقق المؤرخ الكاتب فيقول : « هل نستطيع أن نصدق المؤلف فى كلامه عن كتشنر ، الرجل الذى كان له دوره فى السودان ، وفى مصر ، والذى أقيم مستشفى لتخليده فى شبرا » !!

لحساب من يكتب هذا الكاتب ؟ وبأى قلب يكتب ؟ أصحيح أن كتشنر كان له دور فى مصر والسودان ، يبلغ من النقاء والصفاء والشرف ، والنفع ، والخلق القويم ، والعدل ، أن يستنكر هذا الكاتب عليه أن يكون مصابا بالشذوذ ؟ أيحسب هذا الكاتب انه يخاطب بلها غافلين بهذا الكلام الصريح ، كما ظن «اجاكس عوض» ، أن «طروادة الجديدة» وهى مصر أيضا ، لا تستطيع أن تفهم رموزه الخبيثة التى يلقيها على الناس ؟ أصحيح ان مصر قد اقامت مستشفى شبرا تخليدا لذكرى كتشنر ؟ أم هذه كلها دعوة واحدة معروفة المصدر ، تبث فى الناس تحت ستار من حرية الرأى ، وحرية الصحافة ، وحرية الاعتقاد ؟ أأسكت أم أزيد ، مثلا بعد مثل ؟

**ان هذا العبث الذى يجرى اليوم فى الصحافة ، وفى الكتب ، وغيرهما مما يقال ويكتب ، شىء لا يحتمل • وانها لأيام عصيبة تمر بالعالم العربى والعالم الاسلامى ، أيام تقف فيها جميع القوى الصليبية فى العالم الأوربى ، لتنزل بنا ضربة قاصمة ، واقوى اسلحتها اليوم هى أسلحة الكلمة ، فى الثقافة والدعاية بجميع الوانهما ، وهى تتخذ لها أعوانا ينبثون فى كل ناحية ، ويعملون فى كل ميدان ، وينفثون سمومهم بكل سبيل • فاذا غفلنا واطرقنا وتركنا لكل خبيث حرية العبث بتاريخنا ، وبآدابنا ، وباخلاقنا ، وبماضينا ، وبحاضرنا ، يفعل مايشاء ، ويقول ما يشاء ، ويتولى أخطر المناصب التى يكون للكلمة فيها تاثير فى الشباب وغير الشباب ، فقد جعلنا لعدونا علينا سلطانا يصعب الافلات من قبضته اذا اطبقت علينا •**

وواجب كل امرىء أن يتتبع هذه الأقوال والكلمات ، وان يربط بينها ، وأن يدل عليها من يستطيع ان يعبر عنها ، أو من بيده زمام من الأزمة هو عليه مؤتمن • فان الأمر اذا انتشر بهذا التهاون فى مدارسنا ، وفى بيوتنا ، وفى شوارعنا ، لم نأمن غدا يأتى نحتاج فيه الى جمع الكلمة ، فلا نجد سوى الفرقة • وقد كشفت ما استطعت عن بعض ما يربط « اجاكس عوض » ببعض شيعته التى تعمل من ورائه ، وبالينبوع الذى تنبع منه آراؤهم ، وبالهدف الذى يسعى اليه « التبشير » و « الاستعمار » من بث هذه الآراء • والحياة اليوم ليست لهوا ، بل هى حياة مضطربة شديدة الغوائل ، مخوفة الدقائق والساعات ، فمن أخذها بجدها فقد نجا ونجا الناس ، ومن فرط فى شىء من صغير أمر أو كبيره ، فقد هلك وهلك الناس •

**« محمود محمد شاكر »**

# استيرادنا لقوانين الغرب

## وانحرافنا فى ذلك عن تقاليدنا وعرفنا الخلقى

للدكتور على عبد الواحد وافى

يظهر أن سيرنا وفق القوانين الأوربية في معظم نواحى قضائنا المدنى والجنائى زهاء قرن ونصف ، ودراستنا لهذه القوانين فى كلياتنا ومعاهدنا ، واستئثارها بأكبر قسط من نشاط الباحثين والمتخصصين فى مواد الحقوق من أبنائنا ، يظهر أن ذلك كله قد انحرف بتفكير كثير منا، حتى من خاصتنا أنفسهم ، فجعله يظن أنها أمثل طريقة فى التشريع والقضاء ، وأنه لا ينبغى النظر فى تعديلها ، ولا فى انشاء نظام تشريعى أو قضائى « فى غير ما تقوم عليه من مبادىء وما ترجع اليه من أصول ، وأن قوانين الاسلام قد أصبحت غير ملائمة للعصر الحاضر ولا متفقة مع مقتضيات حياته واتجاهات أفكاره .

وآية ذلك أن أحد رجال القضاء فى مصر قد كتب فى العدد الصادر فى ١٦ مايو سنة ١٩٦٥ من جريدة الأخبار يرد على زميل له آثر الرجوع الى مبادىء الاسلام فى عقوبة السارق، فبلغ به الاعجاب بالقوانين المستوردة من الغرب أن وصفها بأنها « تستجيب للاتجاهات الانسانية التى ظهرت بعد المعاناة والبحث » ، وبلغ به السفه وبلغت به الجرأة على قوانين الاسلام ــ وهو الدين الرسمى للدولة الذى يعتنقه زهاء ٩٠ ٪ من سكان جمهوريتنا ، وظلت بلادنا تسير على أحكامه فى طمأنينة واستقرار زهاء اثنى عشر قرنا منذ أن افتتحها عمرو بن العاص فى أواخر النصف الأول من القرن السابع الميلادى الى منتصف القرن التاسع عشر ــ بلغ به السفه وبلغت به الجرأة على قوانين هذا الدين الحنيف أن وصفها بأنها تنطوى على « مشاعر الرغبة فى الانتقام » ، وأنها « تتسم بالوحشية » ، وأنها « تنظر الى المجرم نظرة عداء فتحاول أن تنقض عليه بمنطق السلطة والقوة الغاشمة تسومه صنوف العذاب ثمنا لنشاطه الاجرامى » .

والحق أن معظم ما استوردناه من قوانين الغرب لا يتعارض مع أحكام الاسلام فحسب ، بل يتنافر كذلك مع طبائعنا وتقاليدنا وعرفنا الخلقى ومقاييسنا للفضيلة والرذيلة ونظرتنا لما ينبغى أن تستقر عليه العدالة وتكون عليه العلاقات بين الناس ، وأنه لا تستقيم لنا حياة اجتماعية ولا يتحقق لنا استقرار حضارى مع وجود هذا النوع من القوانين .

وبحسبى فى هذا المقال أن أضرب لذلك مثالا بالقوانين التى نطبقها الآن بشأن جرائم الزنا وهتك الأعراض :

تقضى قوانيننا الحاضرة أن الزانية لا توقع عليها عقوبة اذا كانت سنها ثمانية عشرة سنة فصاعدا وحدثت الجريمة برضاها وكانت غير متزوجة ، أو كانت متزوجة ولم يرفع زوجها الدعوى عليها ، أو رفعها ولم تسمع منه لسبب ما ، أو رفعها وسمعت منه ولكنه أوقف الاجراءات أو أوقف تنفيذ الحكم برضائه بمعاشرتها كما كانت .

وتقضى هذه القوانين كذلك أنه لا توقع عقوبة على الزانى اذا زنى بامرأة غير متزوجة برضاها وكانت سنها ثمانية عشرة سنة فصاعدا ، أو زنى بامرأة متزوجة برضاها ولم يرفع زوجها الدعوى عليها أو رفعها ولم تسمع منه لسبب ما. وهذا اذا كان الزانى غير متزوج. وكذلك لا توقع عقوبة على الزانى المتزوج فى الحالات السابق ذكرها اذا ارتكب جريمته فى غير منزل الزوجية أو ارتكبها فى منزل الزوجية ولم ترفع زوجته الدعوى عليه .

وتقضى هذه القوانين كذلك أنه لا توقع عقوبة على هاتك العرض اذا كان من هتك عرضه ذكرا كان أم أنثى قد بلغ ثماني عشرة سنة ووقعت الجريمة برضاه ويقصد بهتك العرض ما يقع بين الذكر والذكر من أعمال الشذوذ الجنسى . وما دون المواقعة من الاعمال الجنسية التى تقع بين الذكر والأنثى .

ويلاحظ أن هذه الحالات التى يعفى فيها الزانى والزانية وهاتك العرض من العقوبة بحسب القانون المصرى تشمل فى الواقع معظم الحالات التى تحدث فيها هذه الجرائم . لأنه من النادر أن تحدث هذه الجرائم بغير رضا الطرفين . كما أنه من النادر كذلك أن يرتكب زوج جريمة الزنا فى المنزل الذى يقيم فيه مع زوجته . فقانون العقوبات المصرى قد أعفى اذن من العقوبة معظم جرائم الزنى وهتك الاعراض والشذوذ الجنسى .

وهذه المواد مقتبسة بنصها مع تغيير يسير من قانون العقوبات الفرنسى . وعن هذا القانون نفسه استمدت معظم القوانين الأوربية والأمريكية موادها الخاصة بهذه الجرائم، أو جاءت موادها متفقة مع مواده فى كثير من الوجوه .

وتتوقف مناقشتنا للقانون المصرى والقوانين التى استمد منها مواده هذه على مقدمة موجزة نبين فيها الاصول التى تستمدمنها القوانين موادها الخاصة بهذا النوع من الجرائم .

من المبادىء المسلم بها عند علماء الاجتماع والقانون أن القوانين تستمد موادها الخاصة بهذا النوع من الجرائم من تقاليد الشعب وعرفه الخلقى ومقاييسه للفضيلة والرذيلة ومبلغ نفوره من العمل . فيكون القانون سليما ، فى نظر أهله على الأقل . ويؤدى وظيفته فى مجتمعه ، ما دام يعبر تعبيرا صادقا عن هذه الأمور . ويكون غير سليم ما دام يسلك فى تشريعه اتجاها يتعارض مع هذه الأوضاع .

فلننظر الى أى مدى تتفق قوانين الغرب فى هذا الصدد مع تقاليد أهله وعرفهم الخلقى ، والى أى مدى تتفق قوانيننا مع تقاليدنا وعرفنا الخلقى .

اما فيما يتعلق بشعوب الغرب فان هذه القوانين تعبر تعبيرا صادقا عن تقاليد أهله وعرفهم الخلقى ومقاييسهم للفضيلة والرذيلة ونظرهم الى هذه الامور . فالقوم هناك يعدون هذه الامور من الهنات الهينات ، فلا تثير نفورهم ولا اشمئزازهم . بل ان غيرتهم على نسائهم لتتسم فى معظم الاحوال بالهدوء والتسامح وأخذ الامور بالرفق واللين . ويبدو ذلك فى كثير من مظاهر حياتهم .

فمن ذلك ما يحدث فى المراقص الراقية اذ تجد المرأة نصف عارية يحتضنها رجل أجنبى عنها وتحتك جميع أجزاء جسمه بجميع أجزاء جسمها ، ويضمها الى صدره ويراقصها ، وقد تجد زوجها قابعا فى ناحية من المرقص وكله اعجاب بما تؤديه زوجته ويؤديه زميلها من حركات رشيقة .

وقد يعلم الزوج هناك بان لزوجته خدنا أو أخدانا، وقد تعلم الزوجة أن لزوجها خليلة أو خليلات ، ويغض كل منهما العين عن ذلك ، ويتقارضان التسامح ليشبع كل منهما نزوته .

بل قد يعاشر الرجل منهم امرأة متزوجة معاشرة الازواج ويقيم معها اقامة دائمة فى منزله مع بقائها فى عصمة زوجها ومع علم زوجها بذلك . ويحدث هذا على الاخص فى الطبقات الراقية ، أو الطبقات التى يسمونها هناك الطبقات الاريستوقراطية . فليدى سمبسون مثلا كانت خليلة لادوارد الثامن ملك انجلترا الاسبق ، وكانت تقيم معه بصفة دائمة فى قصره مع بقائها فى عصمة زوجها ومع رضاء زوجها بهذا الوضع ، وكان الملك يعاشرها معاشرة الازواج . وقد دعى زوجها نفسه أكثر من مرة لبعض الحفلات والمآدب والرحلات التى أقامها الملك وقضى لدى الملك وعشيقته بضع ليال على الوضع الذى وصفناه . وكان يذهب هو الى مخدعه ، وتذهب الزوجة مع عشيقها الى مخدعها الخاص غير بعيد عن الحجرة التى يبيت فيها الزوج . وقد وصفت ذلك ليدى سمبسون فى مذكراتها التى نشرتها فى الجرائد الانجليزية والامريكية ونقلتها بعض الصحف المصرية ، وكان ذلك بعد أن طلقت من زوجها وتزوجت عشيقها . وهى لم تذكر ذلك على أنه أمر غريب ، وانما ذكرته للحقيقة والتاريخ ، وعلى أنه أمر عادى له اشباه ونظائر كثيرة فى بلادهم وفى مجتمعاتهم وخاصة فى المجتمعات الراقية . وروايات فلوبير واندريه جيد وسارتر وغيرهم تنوه بمثل هذه المناظر المعبرة أصدق تعبير عن أوضاع المجتمع الاوربى على العموم والمجتمع الفرنسى بوجه خاص . ـ بل قد يقيم العشيق مع عشيقته وزوجها فى منزل واحد ، ويعيش ثلاثتهم فى هذا الوضع على أتم وفاق . وهذا منتشر انتشارا كبيرا فى فرنسا على الاخص ، ويسمونه هناك

«التعايش الثلاثي» وهذا النظام ليس حديثا عندهم ، بل انه متأصل لديهم وتمتدجذوره الى عصور سحيقة في تاريخهم . فقد كان كاتب فرنسا أناتول فرنس يقيم بصفة دائمة مع عشيقته مدام أرمان دوكايافيه ومع زوجها مسيو أرمان دوكايافيه في منزل واحد ، وقد سئل مرة عن علاقته بخليلته وبزوجها فقال : **« اننا نعيش نحن الثلاثة على أتم وفاق »** .

وفي السويد تعطى الزوجة حق اختيار صديق يكون له ما لزوجها من حقوق ، ويعطى الشاب حق معاشرة فتاة بدون وثيقة زواج بعلم اهله وأهلها . - وفي معظم بلاد أوروبا وامريكا لا تكاد الفتاة تبلغ الرابعة عشرة حتى يكون لها خدن يظل يعاشرها معاشرة الزوجة حتى تتزوجه أو تتزوج غيره ، ويكون ذلك بعلم أهلها . وكثيرا ما يهيىء الاهل لفتاتهم وعشيقها وسائل الراحة في منزلهم .

بل ان اعمال **الشذوذ الجنسي** نفسها لا ينظر اليها في هذه البلاد على أنها جرم كبير . بل لقد قرر القوامون على شئون الدين في بلادهم أنها عمل مشروع . فقد وافق مجلس الكنائس الانجليزية على التوصية التي كانت تقدمت بها احدى اللجان الحكومية باعتبار الشذوذ الجنسي الذي يحدث بين البالغين وبرضاهم ، عملا مشروعا لا يعاقب عليه القانون . وكان كبير أساقفة كانتربري « جوفري فيشر » هو الذي قاد الحملة لتاييد هذه التوصية التي تمت الموافقة عليها في مجلس الكنائس باغلبية ١٥٥ صوتا ضد ١٣٨ صوتا . وقال كبير الاساقفة « انه كان يشعر بالقلق لما يصيب الشخص المصاب بالشذوذ الجنسي من ظلم القانون ، في حين يستطيع أي شخص آخر أن يدمر أسرة ويشردها بدون أي عقاب » . - وقد نقلت الينا الصحف المصرية الصادرة في شهر مايو ١٩٦٥ إنه قد عرض على البرلمان الانجليزي مشروع قانون لاعفاء مرتكبي الشذوذ الجنسي من العقوبة ، واعتبار ذلك عملا مشروعا .

هذه هي حضارتهم ، وهذا هو عرفهم الخلقي ، وهذا هو مبلغ غيرة رجالهم على نسائهم ، وهذه هي نظرتهم الى شئون العرض والى جرائم الزنا وهتك الأعراض .

فاذا جاءت قوانينهم فقررت أن هذه الجرائم لاعقوبة فيها ما دامت ترتكب برضاء الطرفين ، وان زنا الزوجة نفسه لا عقوبة فيه ما دام قد ارتكب برضاء الزوج ، او علم به الزوج فسكت عنه ولم يرفع دعوى الزنا على زوجته ، أو رفعها ثم عاد فصفح عنها ، اذا جاءت قوانينهم فقررت هذهالأمور وما اليها مما أشرنا اليه فيما سبق ، فانها بذلك تعبر عن تقاليدهم وعرفهم الخلقيومقاييسهم للفضيلة والرذيلة ونظرهم الى هذه الامور . فهي اذن قوانين تستمد أحكامها من نظام أخلاقهم وواقعهم العملي ، وتقتبس موادها من فهمهم للاشياء ، وتقديرهم للأفعال ، ومناهجهم في الحياة .

**اما نحن** فاننا لم نصل بعد الى هذه الدرجة من الحضارة ! ونسأل الله ألا نصل اليها ، أو بعبارة أصح لم ننحط بعد الى هذا الدرك من البهيمية . فلا تزال مسائل العرض عندنا من أهم المسائل التي تشغلنا ، ولاتزال شئون العرض وما يتصل به من أهم الأمور التي نحافظ عليها ونذود عنها ، ولا يزال الناس عندنا يقاتلون ويقتلون ويقتلون في سبيل المحافظة على العرض والذود عنه ، ولا تزال تنظر الى الزنا على أنه من أكبر الفواحش وأعظم الآثام ، ولا يستسيغ فهمنا أن تواطؤ المجرمين واشتراكهما في الجرم يعفيهما من العقوبة ، ولا يرتضي عرفنا الخلقي أن تعفى الزوجة الزانية من العقوبة ، لأن جرمها قد حدث برضاء الزوج ، أو لأن الزوج قد علم به فسكت عنه ، أو لأنه بعد أن رفع الدعوى عاد فصفح عن زوجته ، لا يستسيغ عرفنا الخلقي هذه الامور ولا يرتضيها ، بل ان عرفنا الخلقي ليقضي في مثل هذه الأحوال الا تقصر العقوبة على الزوجة وأن يضم اليها هذا الزوج المستهتر ، وتوقع عليه أقصى العقوبة لانحطاطه وتجرده من الغيرة والشرف ، وتفريطه في أعز شيء أؤتمن عليه .

فاذا جاءت قوانيننا مع ذلك وقررت أن الزنا واللواط اللذين يقعان برضاء الطرفين لا عقوبة فيهما ، أو قررت أن زنا الزوجة نفسه لا عقوبة فيه ما دام قد وقع برضا الزوج ، أو مادام الزوج قد علم به فسكت عنه ، اذا جاءت قوانيننا فقررت هذه الامور وما اليها مما يتضمنه قانون العقوبات المعمول به في مصر في الوقت الحاضر ، فانها بذلك لا تنحرف عن ديننا الاسلامي فحسب ، بل تنحرف كذلك عن تقاليدنا وعرفنا الخلقي ومقاييسنا للفضيلة والرذيلة ونظرتنا الى هذه الامور .

وغني عن البيان أن قوانين تتنافى مع دين الشعب وتقاليده وعرفه الخلقي تكون عنصرا غريبا في

نظامه ، ولا تستقيم له حياة اجتماعية ولا يتحقق له استقرار حضارى مع وجودها ·

وان المستعمر لم يدخل هذه القوانين فى بلادنا الا لتشيع فينا الفاحشة ، ويشيع بيننا الفجور والانحلال ، ولنتجرد من أهم ناحية من نواحى المناعة الخلقية التى نستمدها من عرفنا وتقاليدنا ، حتى تتيسر له بذلك كله وسائل اذلالنا والسيطرة علينا ·

قد يقول السفهاء من الناس والمتفرنجون منهم والمتفرنجات : لعلك تريد أن تطبق ما يقرره الاسلام فى حد الزنا ، فتوقع عقوبة الرجم على الزانى والزانية اذا كانا محصنين وعقوبة الجلد مائة جلدة اذا كانا غير محصنين ، وتعود بنا الى عقوبات وأوضاع لا تتلاءم مع الحضارة الحديثة ·

وردنا على هؤلاء يتلخص فى ثلاث نقاط :

**النقطة الاولى** : اننا لم نعرض فيما سبق لنوع العقوبة التى ينبغى أن توقع على هذه الجرائم ، وانما أخذنا على قانوننا المصرى أنه يعفى من العقوبة اعفاء تاما معظم جرائم الزنا واللواط وهتك الاعراض ، اى لا يعدها تعديا لحدود المجتمع ، وأنه فى ذلك لا يساير عرفنا الخلقى ولا تقديرنا للامور ، وانما ينقل الينا بضاعة غريبة عنا ، قد استوردها من شعوب لا تعتنق ماتعتنقه من دين ، ولا تذعن لما نذعن له من خلق ، وقانون كهذا قد يمكن أن نتجرعه ولكن لايمكن أن نسيغه، ولا تستقيم لنا حياة اجتماعية ولايتحقق لنا استقرار حضارى مع وجوده ·

**والنقطة الثانية** التى نرد بها على هؤلاء السفهاء والمتفرنجين والمتفرنجات أنه لا غرابة مطلقا فى توقيع عقوبة الجلد والرجم على الزانى والزانية ، فعقوبة الاعدام بمختلف صورها وعقوبة الجلد هما عقوبتان مقررتان فى مختلف الشرائع وشتى الشعوب، ومطبقتان فى جرائم يقل كثير منها فى أضراره الاجتماعية والعمرانية عنجرائم الزنا واللواط وهتك الاعراض · واذا كان الغربيون يعدون حد الزنا فى الاسلام امرا قاسيا غريبا فانهم لا يستغربون العقوبة التى يتضمنها هذا الحد فى ذاتها ، لأن لهذه العقوبة أشباها ونظائر كثيرة فى قوانينهم القديمة والحديثة ، وانما يستغربون أن توقع هذه العقوبة القاسية فى أمور يعدونها هم بحسب مقاييسهم وتقاليدهم وعرفهم الخلقى من الهنات الهينات ·

**والنقطة الثالثة** التى نرد بها على هؤلاء أن الشريعة الاسلامية لا توقع حد الزنا الا اذا توافرت شروط يندر فى الواقع توافرها ، بل يكاد يكون من المتعذر توافرها · فلا يوقع حد الزنا فى الشريعة الاسلامية الا اذا ثبت الجرم بشهادة أربعة رجال عدول مجردين من الجرح ، قد رأوا المجرم بأعينهم وتأكدوا تأكدا حسيا من وقوعه على الوجه الكامل ، أو ثبت باقرار الزانى نفسه · ولا يخفى أنه من النادر ، بل يكاد يكون من المستحيل ، أن يتمكن أربعة رجال عدول مجردين من الجرح من رؤية هذه الجرائم والتأكد من وقوعها وقوعا حسيا على الوجه الاكمل ، لان هذه الجرائم ترتكب عادة فى الخفاء ، ويتخذ مرتكبوها مختلف وسائل الحيطة والحذر حتى لا ينكشف أمرهم · ومن النادر كذلك أن يقرر زان بفعلته وهو يعلم أن اقراره سيؤدى الى رجمه أو الى جلده مائة جلدة على رءوس الاشهاد ·

هذا الى أن الشريعة الاسلامية تتحايل على اسقاط حد الزنا بأوهى الشبهات ، عملا بقوله عليه الصلاة والسلام : « ادرءوا الحدود بالشبهات » · فمن ذلك أنها تقرر أنه لا يصح للقاضى أن يقبل اعتراف الزانى بفعلته حجة مسلمة من أول وهلة ، بل لا يصير الاعتراف موجبا للحد الا اذا تكرر أربع مرات فى أربعة مجالس ، وكلما أقر مرة رده القاضى ، وزجره عن اقراره ، وأظهر كراهيته له ، وأغراه بالرجوع عنه ، وزين له ذلك ، بل لقنه الألفاظ والعبارات التى يرجع بها عن اقراره ( لعلك قبلت فقط ، لعلك لمست ··· الخ ) وأمر بتنحيته عنه وطرده · — ومن ذلك أيضا أن الشريعة الاسلامية تقرر أنه اذا أصر المقر على اعترافه على الرغم من ذلك كله ، ولكنه حاول الفرار فى مبدأ توقيع الحد عليه أو فى أثنائه ، فان محاولته هذه تعتبر بمثابة رجوع عن اقراره فيرفع عنه الحد · — ومن ذلك أيضا أنها تقرر أن الشهود الذين ثبت الجرم بشهادتهم يوضعون تحت الاختبار ، فيجب أن يبدءوا هم برجم من شهدوا ضده ، فاذا امتنعوا عن الابتداء برجمه ، ولو كان ذلك لمجرد الخوف والرهبة أو الشفقة ، فان ذلك يعد بمثابة رجوع منهم عن شهادتهم فيرفع الحد عن الزانى ·

ولكن الشريعة الاسلامية تقرر أنه اذا سقط الحد لعدم توافر الشروط أو لشبهة ما، ولكن ثبت ارتكاب

الفاحشة، أو ثبتت مقدماتها، أو ثبت انتهاك العرض، بأى طريق آخر من طرق الاثبات العادية ، فانه يجب فى هذه الحالة تعزير من ثبت عليه الجرم • والتعزير عقوبة يقدرها القاضى او يقررها القانون المتواضع عليه فى صورة تتفاوت فى شدتها بحسب اختلاف الجريمة نفسها ومبلغ خطرها على المجتمع ، وبحسب اختلاف المجرمين وما يكفى لردعهم ، ويكون بالحبس والسجن والاشغال ، كما تكون بالجلد والتأنيب وما الى ذلك ، على الا يبلغ التعزير فى قسوته حد الزنا لقوله عليه السلام : « من بلغ حدا فى غير حد فهو من المعتدين » •

ومن هذا يبين أن الاسلام قد قصد بحد الزنا أن يكون الحد الأقصى للعقوبة ، ووضع دونه عقوبات اخرى كثيرة هى عقوبات التعزير ، واشترط لتوقيع الحد الأقصى شروطا كثيرة يندر توافرها ، بل يكاد يكون من المستحيل توافرها ، وانه يتلمس أوهى الشبهات حتى لا يوقع هـذا الحد الاقصى بل توقع عقوبات التعزير ، وانه يرى أن مجرد وجود هذا الحد فى صلب القانون ، وامكان تطبيقه ولو مرة واحدة فى كل جيل ، يرى أن ذلك كاف فى تحقيق وظيفة الزجر والتخويف والارهاب ، كما هو الشأن فى جميع الحدود القصوى للعقوبات •

وكذلك يقف الاسلام حيال جريمة السرقة• فعقوبة قطع اليد فى السرقة لا توقع الا بشروط كثيرة يتعلق بعضها بمادة الشىء المسروق ، وبعضها بقيمته ، وبعضها بالمكان الذى سرق منه ، وبعضها بالسارق نفسه ، وبعضها بالمالك ، وبعضها بعلاقة أحدهما بالآخر ومبلغ قرابته منه ، وبعضها بالشهود ، على ما هو مبين بالتفصيل فى كتب الفقه الاسلامى • وهذه الشروط يندر توافرها فى حادث ما من حوادث السرقة • هذا الى أنه لا توقع عقوبة القطع الا حيث تنتفى الشبهات ، فان قامت شبهة ما ، مهما كانت تافهة ، حالت دون توقيع هذا الحد • ولكن سقوط الحد ، وهو قطع اليد ، لعدم توافر الشروط أو لقيام شبهة ما لا يعفى السارق من العقوبة ، فالشريعة الاسلامية تقرر عقوبة التعزير السابق بيانها فى كل حالة يسقط فيها حد السرقة اذا ثبتت الجريمة بأية طريقة أخرى من طرق الاثبات العادية •

فالعقوبات التى يقررها قانون العقوبات المصرى فى بعض جرائم الزنا واللواط وهتك الاعراض هى من قبيل عقوبات التعزير • والذى نريده من قانوننا حتى يكون اسلاميا ومسايرا لتقاليدنا وعرفنا الخلقى هو أن يعمم هذا النوع من العقوبات فى جميع جرائم الزنا واللواط وهتك الأعراض ، والا يجعلها مقصورة على هذه الحالات القليلة التى جارى فيها القانون الفرنسى وساير فيها العرف الغربى الذى أملى هذا القانون ، وأن يضع فى فاتحة هذا الباب ، وهو باب جرائم الزنا وهتك الأعراض ، مادة أو مواد يقرر فيها حد الزنا فى الصورة التى تقررها الشريعة الاسلامية ، وبالشروط التى تنص عليها ، وتكون هذه المادة أو هذه المواد لمجرد الزجر والتخويف والارهاب ولبيان الحد الاقصى للعقوبة ، وهو حد ـ كما قلنا ـ يندر بل يكاد يستحيل تطبيقه بالشروط الشديدة التى اشترطها الاسلام ـ وكذلك ينبغى أن يفعل فى عقوبة السرقة فى سائر العقوبات التى حددها الاسلام •

ان القانون المصرى ان فعل ذلك أرضى الخلق والخالق وساير تقاليدنا ، وعبر عن مبلغ نفورنا من هذه الفواحش والجرائم ، وطهر مجتمعنا من رجسها ، وحكم بما انزل الله •

هذا ، ومن غرائب الاتفاق أن وقع نظرى اليوم ، بعد كتابة هذا المقال ، على خبر نشر فى جريدة الاهرام ( عدد ٧ـ٦ـ١٩٦٥ ) عن الجرائم الجنسية فى استراليا وذكر فيه أن « **موجة عنيفة من الجرائم الجنسية قد اجتاحت جميع أنحاء استراليا ، وأن احكام السجن التى يحكم بها على مرتكبى هذه الجرائم قد فشلت فى التخفيف من حدتها •• ولذلك اخذت السلطات فى جنوب استراليا تستخدم الآن عقوبة الجلد بالسياط كوسيلة للحد من هذه الجرائم** » ، أى انها قد أخذت من حيث لاتدرى تتجه الى قواعد الاسلام فى عقوبة الزنا : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » •

وهكذا يتجه المنحلون الى قوانين الاسلام بينما تتشبث نحن ونشيد بقوانين الانحلال •

**« د • على عبد الواحد وافى »**

# العرب في إفريقيا [١]

## .. من اليمن

للدكتور: عبد العزيز كامل

**متابعة الحديث عن الجنوب العربي :**

فى المقال السابق عرضت جوانب من ملامح الجنوب العربى من حيث صلته بشرق افريقية ، وكيف كانت للاقليم قبل الاسلام منزلة تجارية كبيرة وروابط بالشمال – عن طريق البحر ، وبالجنــوب الشرقى والغربى عن طريق البحر .

والاجزاء الغربية – فى الجنوب العربى – أكــثر غنى – نسبيا – من الأجزاء الشرقيـــة حيث يقل الارتفاع والمطر وتضيق فرص الزراعة فيشـــتد الارتباط بالمحيط الهندى ويصبح صيد البحر حرفة أساسية للسكان يحصلون منها على أسماك يجففونها ويتخذونها طعاما لهم ولابلهم ويتخذون من زيتهـــا متاعا لهم . ولا تزال المكلا والشحر من اهم مراكز هذا النشاط . وانعكست هذه الروابط على نواحى متعددة من حياة السكان : ففى مدن الجنوب العربى يبدو تأثير الطراز الهنـدى فى بناء المساكن فتتعدد طوابقها ويعنى أصحابهـــا بتحصينها ويتفننون فى زخارفها الخشبية .. ولا زال نفر من عرب الجنوب حتى الآن يمضون معظم حياتهم فى عالم المحيـــط الهندى يتنقلون بين شواطئه وموانيه ثم يعودون من بعيد الى عدن وحضرموت بما جمعوا ليقضـــوا بقية الحياة فى أرض الوطن .. قصة حفظها الادب العربى والخيال العربى ممثلة فى « الســـندباد البحرى » ولا تزال تتكرر حتى اليوم .

بل ان أسماء المدن فى الجنوب العربى تحمل أدلة على هذه الروابط الحضارية مع شرق افريقية والهند وموضوع الاسماء من الموضوعات الطريفة التى تعنى بها الدراسة الجغرافية وتستند اليهـا فى الروابط الحضارية وأرجو أن أفرد له دراسة خاصة فيما بعد .. ففى شرق افريقية جزيرة قامت بدور خطير فى نشر الثقافة العربية والاسلامية وهى جزيرة «زنجبار» وبها مدينة تحمل نفس الاسم . وتطور زنجبار يرتبط ارتباطا وثيقا بعرب الجنوب بعامته والعمانيين بخاصته . وهناك بلدة صغيرة تحمل نفس الاسم – زنجبـار – فى الجنوب العربى وتقع على بعد ٤٠ كيلو مترا تقريبا الى الشمال الشرقى من عدن غير بعيد من الساحل على وادى صحيبة . والى جنوب زنجبـار – فى الجنوب العربى – رأس بارز فى المحيط يحمـل اسم رأس سـيلان .. وهو نفس الاسم الذى تحمله الجزيرة الكبيرة المعروفة فى جنوب الهند .

ولميناء «عدن» اهمية قديمـة ترجــع الى ما قبل الاسلام ولا تزال مستمرة حتى الوقت الحــاضر . فالموقع يتكون من خليج عميـــق يشرف عليه عنقان بركانيان يمكن منهما التحكم فى الخليج وحمايته . ووصف ياقوت فى معجمه عدن فقال عنها .. هذا الموضع مرفأ مراكب الهند ، والتجار يجتمعون اليه لأجل ذلك فانها بلدة تجارة . **وهو من اقدم أسواق العرب .** وهو ساحل يحيط به جبـــل لم يكن فيه طريق فقطع فى الجبل باب ... فصار لها طريق الى البر .. ( ٤ : ٨٩ ) وقد سبق أن ذكرنا أن صحار لها هذه المنزلة وانها من أقدم أسواق العرب أيضا . فمع الروابط التجارية بعالم المحيط الهندى ، لم تكن هذه الاطراف منعزلة عن الحياة العربية ، وانما كانت أسواق العرب فى الجاهلية تكون دائرة تحيط بقلب الجزيرة العربية : تمتد من ساحل المحيط الهندى جنوبا الى دومة الجندل شمالا ومن ســـاحل الخليج العربى شرقا الى أســـواق الحجاز وهى أعظم هـذه الاسواق . ومن وراء هـذه الدائرة من الاســـواق العربية كانت هناك الروابط الحضارية التى تربط

الجزيرة العربية بما حولها من مناطق الحضارة برا وبحرا في آسيا وافريقيا وأوروبا .

**اليمن :**

ويمتد اليمن - بمدلوله الحالي - نحو ٤٨٠ كيلو مترا من الشمال الى الجنوب . وهذا المدلول يجعل لليمن جبهة بحرية تطل بها على البحر الاحمر حتى بوغاز باب المندب ويحرمها من أية جبهة على خليج عدن . وبعبارة أخرى اصبحت المرتفعات الجنوبية الغربية في الجزيرة العربية ، وهي أغنى أجزاء الجزيرة بالحضارات القديمة،ممزقة سياسيا بين عدة ولايات، ولا تزال هذه المشكلة من أهم ما يقابل المصير العربي حتى الوقت الحاضر . فهذا الداخل الجبلي المخصب ، أو النواة الغنية التي تستطيع أن تعطي الاجزاء الساحلية عمقا قاريا تستند اليه ، قد أصبحت معزولة عن قطاع كبير من منافذها الجغرافية في الجنوب على خليج عدن واقتصرت سياسيا على البحر الاحمر .

والملامح الطبيعية في اليمن استمرار لما في جبال عسير - الى شمالها - وان كانت - في اليمن - على نطاق أوسع .. فمعدلات الارتفاع هنا تتراوح بين ٢٥٠٠ و ٣٠٠٠ متر وبها أعلى جبال الجزيرة العربية . وتشق الهضبة أودية نهرية عميقة تزيد من وعورة مواصلاتها ، وان كانت بها مناطق مستوية واسعة تصلح للاستقرار والزراعة ، وهي التي شهدت الازدهار الحضاري في اليمن ، وانبعثت منها اشعاعاته على عالم المحيط الهندي وبقية أجزاء الجزيرة العربية . والانحدار شديد من جبال اليمن الى البحر الاحمر وهي نفس الظاهرة التي نلقاها في جبال السراة الممتدة على طول البحر الاحمر وان تفاوت الانحدار في الشدة . وتعجز الاودية النهرية المنحدرة من الهضبة عن أن تصل الى البحر ، وتنتهي دونه ، وتبرز الصخور المخلفة من عوامل النحت ، وتتعاون هذه العوامل جميعا على صعوبة الاتصال بين الساحل والداخل وتترك منطقة تخلخل سكاني وحضاري بين المنافذ البحرية ومنطقة الاستقرار الرئيسية على الجبال . وهذه الظاهرة كانت - ولا تزال من أهم العوامل التي تؤثر على طبيعة الاتصال بين اليمن والخارج ، وتوضح لنا دورات المد والجزر الحضاريين في تاريخه .. فهو طورا منطو على نفسه في الهضبة الداخلية ، عزل نفسه ، أو عزله حكامه عن تيار الحياة ، يعيش حياة رتيبة لا تكاد تحس سير الزمن، وهو طورا منطلق في خطوات وثابة ، تاركا آثار سيره في الجزيرة العربية وعالم المحيط الهندي ، حاملا معه ثمار هذه الحضارات التي يلقاها ، متفاعلا معها بطاقة قادرة على الاخذ والعطاء .

ونظرا للتباين الكبير في مناسيب الارتفاع في اليمن ، كانت هناك فروق واسعة في ظروف المناخ . ففي الهضبة تهبط درجة الحرارة الى قرب التجمد ودونه أحيانا . وتغطي الثلوج الجبال العالية ، ويتقي اليمني شدة البرد بثياب من الجلد والصوف الثقيل بينما ترتفع الحرارة صيفا، ولاتسجل الدرجات العالية التي نلقاها في بقية أجزاء الجزيرة العربية الجافة ، ويرجع هذا أولا الى عامل الارتفاع وثانيا الى مطر الصيف ، ومع المطر يتكون من السحب غطاء يقلل من تاثير الحرارة خلال شهور يوليو وأغسطس وسبتمبر . ومعدلات المطر نحو ٢٥٠ ملليمترا في العام ، وقد تصل الى ضعف ذلك حيث يشتد الارتفاع . وهذا النظام من المطر مرتبط بالنظام الموسمي الذي يسود الحبشة والهند صيفا . وهناك موسم قصير في مارس يمكن ربطه بالنظام السائد في البحر المتوسط .

وانعكس هذا التباين المناخي والتضاريسي على أنماط الحياة وسرعة تغيرها من السهل الساحلي الى الجبال الداخلية العالية : فالسهل منخفض قد يصل اتساعه الى نحو ثمانية كيلو مترات، قليل السكان. وهناك تشابه وتقارب بين عناصر السكان على الشاطئين الشرقي والغربي للبحر الاحمر . ففي هذا السهل يحيا سكان تجري في عروقهم دماء من الدناقل والصوماليين والاحباش من الساحل الافريقي . وهي نفس الظاهرة التي نجدها اذا عبرنا البحر الاحمر الى افريقية . والبحر الاحمر - عمليا وتاريخيا - بحيرة عربية . وهو البحر الوحيد الكبير الذي تحيط به العروبة والاسلام من أجزائه جميعا . ولعل هذه الناحية بالذات هي التي تفسر لنا حرص الاستعمار على أن يجعل لاسرائيل يدا أو أصبعا في البحر الاحمر عندما دفع بحدودها الى رأس خليج العقبة ، ممزقا بذلك الوحدة البرية بين العالم العربي في آسيا وافريقية ، والمعبر القاري بين أرض الاسلام في القارتين ، كما تفسر لنا الصراع الكبير على المداخل الجنوبية للبحر الاحمر وتزاحم القوى الاستعمارية فيها ، والمحاولات المباشرة وغير المباشرة للسيطرة على هذا البحر العربي الاسلامي .

فانتقال الجماعات البشرية بين شاطئي البحر الاحمر ظاهرة قديمة ولا تزال مستمرة ، وهي أقوى ماتكون في هذه الاجزاء ، والتأثير العربي قوي ابتداء من

بوغاز باب المندب وتستمر هذه القوة فى الصومال ثم تبدأ معالمها فى الاهتزاز وتدخل منطقة « شبه الظل العربى » فيما وراء ذلك جنوبا ، بينما كانت هذه المنطقة – فيما وراء الصومال جنوبا – مركزا قويا من مراكز الاشعاع الحضارى العربى حتى جاء الاستعمار وبدأت مؤامراته الطويلة المدى منذ أواخر القرن الخامس عشر ولا زالت مستمرة حتى الآن ٠

وعلى قدر التفاعل القوى بين اليمن وما حولها تكون قوة الموانى اليمنية : الحديدة والمخار فالروابط بين هذه الموانى والظهير القارى المباشر ضعيفة لفقر هذا الظهير بينما هى قوية مع الهضبة الداخلية الغنية ، اذا كانت حضارتها مزدهرة ٠ ذلك لان الساحل هنا لاتسمح ظروفه الطبيعية بقيام موان قوية غنية ٠ فيه مستنقعات ومضاحل ( جمع مضحل وهو المكان يقل فيه الماء : القاموس ٤ : ٥ ) وليس فيه موقع يمكن أن تقارنه بعدن فى الجنوب ٠ ووراء الشاطىء سهل ترتفع الى شرق الهضبة ، ويبدأ مع الارتفاع غنى نباتى ٠٠ فبعد النباتات الشوكية والاشجار التى تتحمل الجفاف تبدو نباتات البحر المتوسط فوق ارتفاع ١٠٠٠ متر ثم يزداد الغنى عند منسوب ١٥٠٠ مترا وتبدو المدرجات الجبلية التى عرفت بها اليمن من قديم والتى عرفتها شرق افريقية أيضا ولا تزال تمارس على الجبال ، على جانبى البحر الاحمر حيث يتوفر مطر وحرارة ملائمان ٠ وبين منسوبى ١٥٠٠ ، ١٨٠٠ مترا يزرع البن والقات وقد توسع الاخير على حساب الاول وانعكس هذا على اقتصاد اليمن ٠

وتقوم صنعاء فى هذه الاجزاء المرتفعة ومنسوبها ٢٥٠٠ متر ولهذا المنسوب دلالته الحضارية عندما نقارنه بالعواصم القديمة التى سبقت قيام الاسلام ٠

**الملامح الحضارية :**

وقد عنى المؤرخون وعلماء الآثار بالحضارات اليمنية القديمة وان كان مجال البحث عن هذه الحضارات لا زال كبيرا ٠ كتب عنها علماء من العرب واليونان والرومان ٠ وعلماء محدثون من أوربا ٠ ومع التطور العربى تجددت العناية بدراسة اليمن وحضاراته القديمة وساهم فى هذا علماء مصريون من أبرزهم الأساتذة احمد فخرى وسليمان حزين وخليل نامى ومحمد توفيق ولهم جميعا انتاج علمى فى هذا المجال نشر بالعربية وغير العربية ٠ وقد عرض الأستاذ الدكتور أحمد فخرى خلاصة للابحاث التى اجريت عن اليمن فى كتابه ، اليمن ماضيها وحاضرها ، وهى محاضرات القاها فى معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ٠ وصدر عام ١٩٥٧ ٠ وقد عنى الأستاذ الدكتور جواد على بهذا الموضوع فى موسوعته القيمة : « تاريخ العرب قبل الاسلام » ٠

وتساعدنا آثار اليمن على تكوين صورة عن أوضاعها قبل الاسلام ، على الأقل فى القرون الثلاثة السابقة لقيامه وان كانت لها أعماق سنراها فيما بعد وكانت هنالك عدد من دول متعاصرة فى جنوب الجزيرة العربية اهمها أربعة : سبأ ومعين وقتبان وحضرموت ٠ هذا الى دويلات أخرى أصغر حجما وأقل خطرا ٠ وكانت قبيلة حمير أقوى القبائل فى أواخر عهد سبأ ٠ وظل اسمها يتردد فى كتابات المؤرخين الرومان والعرب ٠ وأصبح اسمها يحكى على كل ما هو من جنوبى الجزيرة العربية ٠

وكان من اثر الصراع بين هذه الدول أن اتسعت مملكة سبأ حتى شملت فى القرن الثالث الميلادى معظم اجزاء الجنوب العربى : نجران ، عسير ، حضرموت واليمن الحالية ٠ وتطلعت اليها انظار مملكة اكسوم الحبشية ٠ ومع أن قيام اكسوم يرجع فى اعماقه الى مؤثرات من الجنوب العربى حملت معالم حضارية الى الشط الافريقى ، الا أن الاحباش استطاعوا أن يغزوا الجنوب العربى ويضعوا أقدامهم فى الجزيرة فى أواخر القرن الثالث الميلادى واحتلوا اليمن عام ٥٢٥ م ثم ثار اليمن واستطاع استرداد استقلاله مستعينا بالفرس ، ووضع هؤلاء أقدامهم ، حتى جاء الاسلام وأسلم اليمن ٠

فالتفاعل بين اليمن وما حوله كان قويا قبل الاسلام ٠٠ اتخذ أحيانا صورة هادئة سلمية تمثلها انتقال السكان والتبادل التجارى ، واخذ أحيانا صورا عنيفة من حروب كانت ميادينها اما فى الشاطىء الافريقى أو فى الشاطىء الآسيوى ٠

**رمال ودماء :**

وهنا لا بد من وقفة نحاول بها ان نتبين الأسباب الحقيقية وراء هذه الحروب التى دارت معاركها قبل الاسلام ٠ وهل كانت راجعة الى أسباب داخلية أم مرتبطة بالأحداث الكبيرة التى تمر بها المنطقة كلها ؟ أعنى القوى العالمية وقتئذ ؟ فهذه الحروب لم تكن مقتصرة على سكان اليمن وحدهم ، وانما امتدت فشملت الأحباش فى مملكة اكسوم ودخلت فيها قوى الفرس والروم ، واندفعت بها الجيوش الضالعة

تحاول أن تستولى على أجزاء من الجزيرة العربية ، وأن تتوغل فيها لتصل الى مكة ـ ان استطاعت .

وكانت هذه الحروب مرتبطة بالازدهار الذى كانت تمر فيه اليمن وقتئذ بعد أن استطاعت ـ الى حد كبير ـ أن تحقق وحدتها وان تشرف على منافذها الجغرافية جنوبا وغربا ، وأن تنظم امر تجارة البخور، وتسيطر على مراحلها فى الجنوب العربى .وكان طريق تجارة البخور يمتد من قنى مارا بظفار فى مهرة وشبه ( حضرموت ) وتمنع ( قتبان ) ومارب ( سبأ ) الى الجوف ( معين ) ، أى انه يمر بالعواصم الأربع للدول القائمة بجنوبى الجزيرة العربية . ويعبر بهذا حدود هذه الدول . وكان من الطبيعى أن تتأثر التجارة اذا ما قام تنافس بين هذه الدول واضطربت العلاقات بينها . ومن العرض السابق تبدو لنا طبيعة البيئة هناك والصعوبات التى يمكن أن تقابل أية قوة مركزية فى محاولتها بسط نفوذها على كل أجزاء الجنوب العربى . ويبدو أن أرض اليمن بحكم اتساع قاعدتها القارية يمكن ان تكون افضل المواطن التى تتولى امر هذا التجميع السياسى .

سيطر عرب الجنوب اذن على تجارة البخور وسلكوا الطريق البرى من اليمن الى الشام ودر عليهم هذا الطريق اخلاف الرزق والثروة ، هذا فى الوقت الذى كانت تبرز فيه قوة اليونان ممثلة فى الاسكندر الاكبر باحلامه العالمية ، ولم تبق أمامه قوة رافعة الرأس لم تخطب وده ولم ترسل اليه الهدايا الا الجزيرة العربية . وكان من مشروعاته أن يغزوها ولكنه مات قبل أن ينفذ ما أراد .

فالجزيرة العربية كانت فى ذهن هذا الفاتح العالمى، والجزيرة العربية ـ رغم ما تعلم عن قوته ، آثرت ان تقف فى وجه هذا الاعصار الامبراطورى .. وودت اليونان ثم الرومان العناية بالبحر الأحمر والشرق ولم ينسوا أن هذه الجزيرة باجزائها الحجرية والصحراوية والسعيدة ، لازالت قلعة عصية ممتنعة بجبالها ورمالها ، مستندة الى قوتها الاقتصادية وشبكة علاقاتها الواسعة وتراثها من الحرية والعزة ،

ويبلغ الأمر مداه عام ٢٤ ق . م على يد « اليوس جاليوس » الحاكم الرومانى فى مصر فيحاول غزو الجزيرة العربية فى حملة يستعين فيها بالنبط حلفاء الرومان وجند من البدو واليهود ويصحب قائد الحملة الجغرافى الرومانى الكبير « سترابو » وكان هدف الحملة الوصول الى بلاد العرب السعيدة : اليمن . ووصف سترابو ما تعرضت له الحملة وما لقيته من مشاق فى سبيل وصولها الى أرض البخور واستيلائها على مصادر هذه التجارة .

واستطاع الجيش الرومانى رغم الأمراض التى فتكت بالجيش فى المناخ اللاهب من احتلال مدينة نجران ثم حاولوا التوغل الى مدن العربية السعيدة ..الصحراء حولهم من كل جانب ، الحرارة شديدة ، الماء نزر يسير يتهددهم بالموت ، المسالك مجهولة لهم ، الدليل الذى يعمل معهم لا يأمنون خطواته واستطاعوا كما يقولون أن يحاصروا مدينة « مريابة » . والعطش يحاصرهم ويتهددهم بالفناء .. هل مريابة هذه هى مارب عاصمة سبأ ؟ سؤال لا زال بغير اجابة يقينية حتى الآن . وبعد مسيرة ستة شهور استبد اليأس والمرض والعطش بالجيش فتراجع قاطعا فى شهرين فى عودته ما قطعه فى ستة شهور عند مجومه .. ورغم ما حاولت روما أن تتباهى به من نصر ، فان الحقيقة الكبيرة هى تراجع الجيش الرومانى أمام جبال اليمن الشماء وأبنائها الذين رفضوا تقديم هدية للاسكندر أو الخضوع لروما . والذى بقى من هذه الحملة ما كتبه عنها العلماء وبخاصة استرابو الذى صاحبها ، وما تركته فى نفوس الرومان من أثر عميق عندما تحطمت آمالهم فى غزو اليمن واضطروا الى التراجع امام قوة العرب فى جزيرة العرب .

واذا كان فشل الحملة قد أدى الى بقاء سيطرة اليمن على طريق البخور وعلى الطريق البرى الموصل بين الجنوب والشمال فى غربى الجزيرة العربية ، فان المطامع الاقتصادية لم يخفت صوتها فى صدور اليونان والرومان وانما حاولوا أن يسيطروا على طريق البحر وينافسوا به طريق البر . وكأنهم بهذا ارادوا أن ينقلوا أرض المعركة من رمال الصحراء الى موج البحر ولم تقتصر المعركة على البحر الاحمر ، وانما امتدت الى المحيط الهندى . وكانت معركة لها طابعها « العلمى » . فقد كان عند العرب « سر الرياح الموسمية » ينتقلون به بين أرضهم والهند وشرق افريقية ، وكانت عندهم معرفة دقيقة ، بسواحل المحيط وخلجانه ومضاحله وشطوطه المرجانية ، ولم يكن من المستطاع لليونان ولا للرومان أن يلجوا هذا المحيط دون أن يعرفوا هذه الأسرار العلمية التى حرص عليها العرب .

لقد كانت حملة الغزو الرومانى يصحبها علماء .. وكانت سيطرة العرب فى مياه الجنوب أساسها علمى، ومحاولات الاغريق فيما وراء باب المندب جنوبا كانت تستهدف الوصول الى أسرار الملاحة .

من قديم والمعركة « علمية » ولا تزال . وموعدنا المقال المقبل لنوفى فيه جوانب من هذا الصراع « العلمى » فى مياه المحيط الهندى قبل الاسلام .

**« د . عبد العزيز كامل »**

# مصر في موكب العروبة

للدكتور أحمد الحوفي

- ٣ -

## في الحملة على استعمار الوطن العربي

برمت مصر بتقسيم الوطن العربي واحتلاله ، وضاقت به ، وحملت عليه ، لانه تمزيق للوحدة ، وتفريق للشمل ، واضعاف للقوة ، وتمكين للمستعمر .

وقد تجلى هذا في عدة مظاهر ..

١ ـ السخط على التقسيم الذى سبب ضعف العرب وسيطرة العدو عليهم ، كما نرى في قول شوقي :

وانظر الشرق كيف اصبح يهوى
وانظر الغرب كيف اصبح يصعد

وتأمل ممالكا وبلادا
لبس الدهر عقدها فتبدد

وفي نصحه للسوريين بعد ثورتهم سنة ١٩٢٥ على الاحتلال الفرنسي الا تخدعهم فرنسا بما تعرضه عليهم من تقسيم والقاب، لانها القاب زائفة واستار للعبودية ، وفي تنفيره لهم من هذه العبودية المموهة ومن مظاهر الكبرياء المزيفة كالتي تبدو في انتفاخ الدليل ، وفي تصعير المصلوب خده :

بني سورية اطرحوا الاماني
والقوا عنكم الاحلام القوا

فمن خدع السياسة ان تغروا
بالقاب الامارة وهي رق

وكم صيد بدا لك من ذليل
كما مالت من المصلوب عنق

ونقم شوقي من بعض امراء العرب انهم بضعفهم وتباغضهم وتفرقهم مكنوا للغاصب من ان يحتل اطراف الجزيرة العربية ، ويتخذها قواعد لاسطوله وجيشه ، فقال في سنة ١٩٠٤ :

كفى الجزيرة ما جروا لها سفها
وما يحاول من اطرافها العجم

تلك الثغور عليها وهي زينتها
مناهل عذبت للقوم فازدحموا

في كل لج حواليها لهم سفن
وفوق كل مكان يابس قدم

والامهم امراء السوء واتفقوا
مع العداة عليها فالعداة هم

وهكذا يتردد السخط على التقسيم في الشعر الحديث الى الوقت الحاضر .

٢ ـ الحض على الوحدة ، والحملة على دعاة التفرقة ؛

وانتهاز الفرص الملائمة للتذكير والاثارة ، كقول احمد محرم :

هبوا بني الشرق لا نوم ولا لعب
حتى تعد القوى او تؤخذ الاهب

ماذا تظنون الا ان يحاط بكم
فلا يكون لكم منجى ولا هرب

سيروا بني الشرق في ظل الاخاء عسى
ان تفلحوا ولعل الصدع يرتئب

كونوا به امة في الدهر واحدة
لا ينظر الغرب يوما كيف تحترب

وانه ليسترعى النظر ان الشعر الحديث زاخر بالدعوة الى الوحدة ، وبشعور العرب باخوتهم ، كقول حافظ ابراهيم لاهل لبنان :

لي موطن في ربوع النيل اعظمه
ولي هنا في حماكم موطن ثاني

حسبت نفسي نزيلا بينكم فاذا
اهلي وصحبي واحبابي وجيراني

أنّى التقينـــا التقى فى كل مجتمع
اهـــل باهل واخوان باخوان

وقول الجارم :

بنى العروبة ان الله يجمعنا
فلا يفرقنــا فى الأرض انســـان

لنا بها وطن حر نلوذ به
اذا تنات مسافات واوطان

ولهذا افتن الشعراء فى تصوير المشاركة الوجدانيـــة بين العرب ، واغلب الظن ان حافظ ابراهيم اول شاعر صور هـــذه المشاركة ســـنة ١٩٠٨ بأن جبال الشام لتميـــد اذا مس مصر والسودان شر ، وبان سكان لبنان يتنحبون اذا سمعوا مصريا يئن ويتالم ، لأنهم اخوة يتساندون فى الباساء ، ويتعاطفون فى الشدائد :

لمصر ام لربوع الشـــام تنتسب
هنا العلا وهناك المجـــد والحسب

ركنان للشرق لا زالت ربوعهمـــا
قلب الهـــلال عليهـــا خافق يجب

خدران للضاد لم تهتك ســـتورهما
ولا تحـــول عن مغناهمـــا الأدب

ام اللغـــات غـــداة الفخر امهما
وان ســـالت عن الآباء فالعـــرب

اذا الّمت بوادى النيـــل نازلة
باتت لها راسيات الشام تضطرب

وان دعا فى ثرى الأهرام ذو الم
اجابه فى ذرا لبنان منتحب

ثم حيا شوقى مبايعيه بامارة الشعر من اقطار العروبة سنة ١٩٢٧ فوصف المهرجان بانه عكاظ اجتمع فيه ممثلو العروبة ، وصور الأمة العربية جسدا واحدا اذا اشتكى عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالألم والسهر ، فاذا تاوه بالعراق جريح امسك اخوته فى اقطار العروبة جنوبهم ، وعرض للاشتراك فى الآلام من مظالم الاستعمار والتنكيل بالأحرار ، والجهاد للخلاص ، فقال :

رب جار تلفتت مصر توليـ
ـــه ســـؤال الكريم عن جيرانه

بعثتنى معزيا بماقى
وطنى او مهنئا بلســـانه

كان شعرى الغنـــاء فى فرح الشر
ق وكان العـــزاء فى احـــزانه

قد قضى الله ان يؤلفنـــا الجر
ح وان نلتقى على اشـــجانه

كلما ان بالعـــراق جريح
لمس الشرق جنبه فى عمانه

وعلينـــا كما عليكم حديد
تتنزى الليوث فى قضـــبانه

وما زال كثير من الشعراء المعاصرين يلهجون بهذه المشاركة الوجدانية فى شتى المناسبات .

٣ ـ حينما هجمت ايطاليا على ليبيا سنة ١٩١١ هب الشعب الليبى يجاهد للذود عن وطنه ، وجعل الايطاليون يقتلون الأحرار ، ويمثلون بالثوار ، فهاج اخوتهم فى الوطن العربى ، ولم يكتف اخوتهم فى مصر بالسخط على العدو الغاشم والتشهير بوحشيته ، بل سارعوا الى نجدتهم بالرجال والسلاح والمال ، وكان فى مقدمة المجاهدين بطلان بارك الله فى عمرهما هما صالح حـــرب وعزيز المصرى .

وكان للشعر فى هذا الميدان دوى مسموع متجاوب ، فقد دعا شوقى الى السخاء بالاموال على ( الهلال الأحمر ) ســـنة ١٩١٢ نجدة للجرحى فى طرابلس ، واشاد ببطولتهم وفدائهم لوطنهم ، وصـــور الام المصريين مما حل باخوتهم ، واستبشر بنصرهم القريب :

ومجاهدين هنـــاك عند معسكر
ومن المهـــابة بين الف معســـكر

موفين للأوطان بين حياضها
لا يســـمحون بها وبين الكوثر

ضرب على دين الأبوة فى الوغى
لا يطعمون القرن ما لم يتـــقدر

الفوا مصـــاحبة السيوف وعودوا
اخـــذ المعـــاقل بالقنا المتشجر

يمشـــون من تحت القذائف نحوها
لا يسألون عن الســـعير المطـــر

فى أعين البـــارى وفوق يمينـــه
جرحى تجلهم كجـــرحى خيبر

من كـــل ميمون الضماد كأنما
دم أهل بدر فيـــه او دم حيـــدر

جذلان هيئة عليـــه جراحـــه
وجراحه فى قلب كل غضنفر

ضمدت بأهـــداب الجفون وطالما
ضمدت بأعراف الجياد الضمر

فـــــؤاده يتمـــــــزق بردلة
كالوقد مــــــــــح بالحطيم الأطهر

وكذلك استثار حافظ ابراهيم العرب على ايطاليا ، بعد ان وصف ما ارتكبه جنودها :

كبلوهم فتلــوهم مثلوا
بذوات الخدر طاحوا باليتامى

ذبحوا الأشياخ والزمنى ولم
يرحموا طفلا ولم يبقوا غلاما

احرقوا الدور استحلوا كل ما
حرمت لاهاى فى العدل احتراما

وحزن احمد محرم مما اصاب طرابلس من غارة ايطاليــا عليها ، وعبر عن حزنه بانه لا يقر لعربى قرار واخوته يقتلون فى طرابلس ، ثم اهاب بالمصريين ان يسارعوا الى نجدة اخوتهم ، لان الله اوجبها عليهم ، وحذرهم التوانى ، لان فيه هلاكا لهم جميعـا .

كيف القرار ونار الحـــرب تستعر
والهول مضطرم البركان مســـتعر ؟

ايه بنى مصر ان الله يشدبكم
فسارعوا قبــل ان تردى بنا الغير

واحس محمد عبد المطلب أن فى صدره نارا تلتهب ، واستنفر قومه أن يمضوا لاغاثة قرتهم :

خليل مال الا تذكـــرت برقـــة
بجنبى نار الأسى تتلـــــهب ؟

نعم راعنى من نحو برقة صارخ
يهيب بانصار الهــلال : الا اركبوا

وحض مصطفى صادق الرافعى على الثار الماحق من ايطاليا جزاء لها على ما انزلته باليتامى والنساء الثاكلات والأعــراض المسلوبة :

لابد من غضبة ان ثار ثائرها
على الشياطين من جن الفلا ذعروا

ثار اليتامى وثار الثاكلات وثا
ر الخدر ينغى وثار العرض يشتهر

٤ ـ وفى هذا الوقت نفسه ضرب الاسطول الايطالى بيروت ، ففزع العرب ، وثار الشعراء ، وقال شوقى قصيدة بكى فيهـــا بيروت ، وحمل على ايطاليا ، وصور العرب الذين قتلتهم القنابل اسودا ماتوا غدرا فى غير معركة ، فليس لايطاليا ان تباهى بقتلهم، لان الليث القيد يسهل صيده ، اما الليث الطليق فان صــيده عسير مرغوب . وحزن على دماء الأبطال التى سالت حول المساجد والكنائس والدور ، وتمنى لو ان العمر امتد باصحابها ليذودوا عن الحمى ، ويثاروا من اعداء العرب ، ثم صور أسى المصريين مما نزل باخوتهم فى لبنان ممثلا فى الدمع السخين الذى لو استطاعوا ان يضمدوا به جراح لبنان لفعلوا :

بيروت مات الأســــد حتف انوفهم
لم يُشهروا سيفا ولم يحموك

سبعون ليثا احرقوا او اغرقوا
يا ليتهم قتـــــلوا على طـــــبروك

كل يصـــــيد الليث وهو مقيد
ويعز صـــيد الضيغم المفـــكوك

يا مضرب الخيم المنيفة للقــــرى
ما انصـــف العجم الألى ضربوك

ما كنت يوما للقنــــــابل موضـعا
ولو انها من عسجد مســــبوك

سالت دماء فيك حول مســـاجد
وكنائس ومــدارس وبنــــوك

كنـــا نؤمل ان يمـــد بقاؤها
حتى تبل صـــدى القنا المشبوك

لك فى ربا النيل المبارك جيرة
لو يقدرون بدمعهم غســـلوك

٥ ـ وفى سنة ١٩٢٥ ثارت سورية على الحكم الفرنسى ثورتها الباسلة التى استمرت سنتين ، وهدمت فيها قرى كثيرة ، وضرب الفرنسيون دمشق بمدافعهم مرتين اولاهما فى مايو سنة ١٩٢٥ والثانية فى اكتوبر سنة ١٩٣٦ ، حينما حدث ذلك التهبت مشاعر المصريين ، ومجد شعراؤهم بطولات المجاهدين ، وبكوا دمشق ، ورثوا شهداءها ، وقد عقد المصريون فى يناير سنة ١٩٣٦ مؤتمرا استنكروا فيه عدوان فرنسا ووحشيتها ، والقيت فيه قصيدة لشوقى ، حيا فيها دمشق ، وجزع مما اصابها ، ومجد ماضيها وحاضرها ، واستنكر وحشية فرنسا ، وندد بها وبطيش قائدها الغاشم ، وانذرها بان السوريين لا بد ان ينالوا حريتهم ، وبان وحشيتها غذاء لحماستهم ، وختم القصيدة بتشجيع السوريين على الجهاد ، وصور لهم الحــرية حصنا لا يقــرع بابه الا الأبطال المجاهدون المضرجة اكفهم بدماء الجهاد . ولقد غاظت القصيدة فرنســا ، فمنعت شــوقى من ان يزور بلاد المغرب التى كانت خاضعة لها حينئذ ، والقصيدة مشهورة مطلعها :

سلام من صبا بردى ارق
ودمع لا يكفكف يا دمشـــق

ولما ضربوها ثانية فى مايو سنة ١٩٤٥ بكاها شعراء مصر ، مثل قول على الجندى فى التفجع عليها ، والسخرية بمؤتمر السلام ، والدعوة الى التسلح وحماية الحق بالقوة :

تجمعتــــم من كل جنس وامة
ولون لحفظ السلم هل حفظ السلم ؟

وَالا فمـــا بال الشـــام دماؤه
تسيل وانتم عن مناحته صم ؟

ويطلب ديجــول تراث اميــة
وليس له في الشام خال ولا عم

الا كل شعب ضائع حقه سدى
اذا لم يؤيد حقه المدفع الضخم

٦ ـ اما فلسطين فانها فلذة من كبد العروبة وبضعة من قلبها ، ومهوى افئدة بنيها من مسلمين ومسيحيين ·

وقد ابلت مصر في محاولة استرداد فلسطين بلاء عظيما منذ كانت النكبة الى اليوم ، ولن تهدأ مصر حتى تعود فلسطين الى العرب ليستكمل الوطن العربي الكبير سلامته وعزته ومنعته ·

وحسبي ان اذكر بعض نماذج من الشعر المصري ، لان الشعر في فلسطين كثير متنوع ·

فقد نادى احمد محرم ابناء فلسطين بانهم ابناء عمومته ، وبان مصابهم مصاب العرب ومصاب مصر :

ابنى العمومة ما سهرتم وحدكم
مصر الشقيقة لوعة وسهاد

ان ساءكم الا تزال همومكم
لترى فتلك همومنا تزداد

وحزن لما علم بالدماء العربية التي سالت على ارض فلسطين سنة ١٩٣٣ في المعارك التي نشبت بين اصحاب البلاد واليهــود الوافدين ، وجرح كبده ما اصاب العرب الذين هم بمثابة ابنائه واخوته وابناء عمه ، وسماهم شهداء الحق وحماته ، ولم يتطرق الى نفسه يأس من انتصارهم ، لانهم احــرار يحمون بجهادهم وطنهم العربي المغصوب · ثم صور فلسطين نهبا باعه الانجليز الذئاب لليهود الذئاب ، باعه من لا يملكه لمن لا يستحقه ·

وختم القصيدة بدعوة حارة يوقظ بها مصر لانقاذ شقيقتها ، وبالامل في نصر العرب وتحرر وطنهم :

في حمى الحــق ومن حول الحــرم
امــة تؤذى وشــعب يهتضــم

فــزع القدس وضــجت مكــة
وبكــت يثرب من فرط الألم

يا فلســطين اصطليهــا نكبة
هاجهــا للقــوم عهــد مضطرم

في فؤادي جرحك الدامي وفي
كبدي ما فيه من حــزن وهم

كــم صــريع لك في اشــلائه
مصرع القــربى واشــلاء الذمم

فجعــوني فيه بابن صــالح
واخ حــر السجايا وابن عــم

شــهداء الحــق ماتوا دونه
وهــو حي العــز موفــور الشمم

بــاعه ذئب لذئــب غيلــة
فهــو للذئبين نهب مقتســـم

مصر ناجي من فلســطين الربا
وابعثي صــوتك من اعــلى الهــرم

نبئيها انــــا من وجـــدها
نجد العلقم في العــذب الشبم

لا يغــرن قــويا جنــده
قوة صرعى وجنــد منهــزم

وكذلك تفجع على فلسطين على الجارم وعباس العقاد ومحمـــد عبد الغني حسن وعلى الجندي ومحمود اسماعيل وعلى محمود طه وعبده بدوي وشريفة فتحي وغيرهم ·

وانه ليسترعي النظر ان الشعراء جميعا اذ بكوا فلســـطين وصوروا خطبها ، ونكبة العـــرب والمسلمين فيهـــا ، حملوا على الاستعمار ، واهابوا بالعرب ان يتحدوا ، ليفلوا بوحدتهم اسلحة خصومهم ، واستنهضوا العرب الى الجهاد الظافر ، لاسترداد عضو من اعضائهم ، وندوا بالمتخلفين القاعدين عن الجهاد ، وانذروهم سوء المصير ·

وهم في بكائهم ، وفي تحميسهم على الثار ، وفي حملاتهم على الاستعمار ، وفي حضهم على استخلاص حقهم الطبيعي ، لم ييأسوا من النصر القريب ، وان نصرهم لقريب بتأييد من الله ·

٧ ـ وقد ثارت الجزائر على الاحتلال الفرنسي ثورة عاتية تحالف فيها الجهاد والبطولة والفداء ومضاء العزائم ثماني سنوات متصلة ، لم تتخللها هدنة ، ولم يتسرب اليها لون من الوان الضــعف او التوقف حتى تم لها النصر العزيز الكريم سنة ١٩٦٢ ·

ولم يعد سرا ان مصر آزرت هذه الثورة برجالها وسلاحها ومالها وادبها ، فكثيرا ما دوت صيحات الشعراء مناصرة للجزائر في كفاحها المجيد الباسل ، وحاملة على فرنسا حمــلات حانقة ومشيدة ببطولة الثوار الاحرار ، ومتوعدة فرنسا بالثار والانتقام

فقد اقسم هاشم الرفاعي عدة اقسام لكل منها عزازته وجلاله ، اقسم بحب العرب للجزائر وهي قطعة من وطنهم الفذي يحرصون عليها ويشفقون على اهليها ، ويشاركونهم في الأسى والدفاع ، واقسم بغزارة دماء الثوار التي تروي ثرى الجزائر ، وبشهدائها الذين قتلهم العدو ، وبنقمة العرب من هذا العدو المشترك ، ثم اقسم بالابطال المجاهدين الرابضين على قمم الجبال ، اقسم بهذا كله اننا سننتصر على فرنسا ، ونرفع مشاعل النور والحرية في هذه البقعة العزيزة من وطننا العربي ، فنثار للشهداء وللجرحى

وللمشردين ثارا لا تقتصر الفرحة به على الأحياء ، بل تمتد الى من في القبور :

بهواك ، بالدم فوق تربك يا جـزائر
يجرى تفجر من حشاشة كل ثائر
بشهيدك الملقى على سفح المجازر
بالسخط يغلى في القلوب وفي الحناجر
بالرابضين على القمم
الثـائرين على الظلم
ستفجر الأضواء في تلك الدياجر
وتسيل افراح الحيـاة على المقـابر

ونوه كثير من الشعراء ببطولة جميلة بوحيرد وجميلة بوعزة٠

٨ ـ ولقد دأب الشعراء على استنهاض العرب الى الثورة على المحتلين ، وفرعوهم على الاستكانة ، وذكروهم بمجدهم السالف وبابائهم المغاوير ، وقبحوا لهم ما يقاسون من مهانة واستبداد وحببوا اليهم الحرية والعزة والجهاد ، وحضوهم على التسلح في عالم لا يقدر غير القوة ، ولا يصيخ الا الى لغة المدافع ، وحذروهم الخديعة بما يتشدق العالم به من عدل ، لأنه متوهم مفقود يستغله الأقوياء المجرمون ، كقول أحمد محرم :

امم العـروبة جاء يومك فاعملى
والى مكانك فانهضى وتقـدمى

ودعى المضـاجع وانفضى عنك الكرى
وخذى السبيل الى المقـام الأعظم

هـذا زمان ليس يفهـم اهله
الا حـديث النـار او لغة الدم

والعـدل اكثر ما يكون حديثه
الشـوى الجانى ودعـوى المجرم

امم العـروبة لا نجـاة لمدبر
يبغى النجـاة ولا حيـاة لمحجم

لك ان تسودى تحت رايتك التى
خلقت لها الدنيـا فسودى واسلمى

وهكذا تتردد الدعوة الى اليقظة والنهوض والتسلح والوحدة في شعر الجارم ، والجندى ، ومحمود اسماعيل وغيرهم ، وغيرهم

٩ ـ وكان من الطبيعى ان ينجلى الجهاد عن شهداء وابطال ، وان يشعر العرب ان البطل الشهيد في اى اقليم عـربى هو شهيدهم جميعا وبطلهم جميعا ، ولهذا تجاوب الشـعراء برثاء الأبطال وانذروا الأعداء بصواعق النار ٠

فقد مجد شوقى شهداء سورية في ذكرى استقلالها سنة١٩٢٨، واختص يوسف العظمة بالاشادة ، وصور قبره هاتفا بالجهـاد للانتقام من الفرنسيين ، ونوه ببطولته في مناضلة الجيش الفرنسى الباغى المستظهر بطياراته ودباباته ، حتى استشهد أبيا في ميدان الشرف ، مبكيا عليه من المسلمين والنصارى :

سـاذكر ما حييت جـدار قبر
بظـاهر جلق ركب الرمالا

تغيب عظمة العظمات فيـه
واول سـيد لقى النبالا

مشى ومشت اىالق من فرنسـا
تجر مطارف الظفر اختيالا

ملأن الجو اسـلحة خفافا
ووجه الأرض اسـلحة ثقالا

وارسلن الرياح عليـه نارا
فما حفل الجنوب ولا الشمالا

اقام نهـاره يلقى ويلقى
فلما زال قرص الشمس زالا

وطاح ترى به قيـد الثنايا
ولست ترى الشكيم ولا الشكالا

اذا مرت به الأجيـال تترى
سـمعت لها ازيزا وابتهالا

تعلق في ضمائرهم صـليبا
وحلق في سـرائرهم هلالا

وكذلك رثى الشعراء عدنان المالكى واحمد عبد العزيز وغيرهم ورثى فوزى الغزى وعمر المختار ٠

١٠ ـ على ان شـعراء مصر صوروا ابتهاج المصريين بأفراح اخوتهم العرب ، كما صوروا مشاركتهم لهم في اتراحهم ، فحينما احتفلت سورية بعيد استقلالها سنة ١٩٢٨ حياها شوقى ، وحينما احتفلت سنة ١٩٣٠ بهذا العيد حياها العقاد ، ثم توالت افراح الاستقلال في المغرب وتونس والجزائر فجلجل صوت الشـعراء في هذه الأعياد معبرا عن بهجة مصر وغبطتها ٠

١١ ـ ويجدر بنا الا ننسى انه في عهد صلاح الدين توحدت مصر والشام وجزيرة العرب ، وفي عهد المماليك توحـدت مصر والشام والحجاز واليمن والسودان وليبيا وحدة سياسية وروحية

ثم كانت مناضلة مصر للاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ ، وجهاد ساستها وقادتها وصحافتها وادبائها للتحرر من هذا الاحتلال حتى ظفرت باستقلال مقيد سنة ١٩٢٣ ، ثم اتصال جهادها حتى ثارت ثورتها الباسلة سنة ١٩٥٢ ، وانتصرت على الاسـتعمار في كل جولة ، كل هذا كان في مقدمة العوامل الفعالة في ايقاظ العرب واشعارهم بالحاجة الى الاتحاد في نضال العدو المشترك ، وكان له اثره في تحرير الاقاليم التى تحررت من اصفاد المستعمر ، وما زالت آثاره واضحة في معـارك التحرر التى تبشر بالنصر القريب ٠

« د ٠ أحمد الحوفى »

# رحلة في قطار

الشاعر: علي محمد حمد

ويعلو الشجار .. ويمضي القطار
يضج بركابه في القفار
وفي سرعة الضوء .. يطوي المدار
على حرف مهوى .. بعيد القرار
عميق ... عميق ... يثير الدوار

❋ ❋ ❋

ويحمى الأوار .. ويمضي القطار
وفي جوفه .. ركبه المستطار
شباب .. وشيب .. وطفل صغار
تقائض شتى ... حواها اطار
فقد جمعتهم دواعي الجوار
وليس لهم في التلاقي اختيار
وفي كل مرتفع .. وانحدار
يروعهم في الطريق انفجار
دخان .. ونار .. وصوت انهيار
ورهط يصيح .. « الدمار .. الدمار »
فتعوي النساء ... ويبكي الصغار
ويحتبس الرعب .. صوت الكبار
وتمضي بهم لحظات انتظار
وشيئا .. فشيئا يعود الحوار
ويقوى الضجيج .. ويعلو الشجار
ويقبل شيخ .. طويل الازار
فينظر من كوة في الجدار
ويلقي بقبضته في وقار
على شعر لحيته المستعار
ويسأل جارا له في انكسار
: أتدري الى أين يمضي القطار ؟

❋ ❋ ❋

الى أين يمضي ؟ ... ودوى السؤال
فغمغم سامعه ... ثم قال
ولكنه لم يجد ما يقال
فالقى الى جاره بالسؤال
وعاد الضجيج .. وثار الجدال

❋ ❋ ❋

ويطوي القطار رءوس التلال
ويشتد بين العقول القتال
ويفني السنا .. في ضباب الخيال
فيشعر منهم فتى ... بالملال
ويصرخ في ثورة وانفعال
لتطو الأعاصير هذا السؤال
سيمضي القطار ... على كل حال
فخلوا المآل ... ليوم المآل
فما نحن في رحلة وانتقال
ولكننا في كهوف اعتقال
نهيم ونعدو وراء .. الظلال
ونخبط بين شعاب الضلال
ونطعم أيامنا ... للمحال
لوهم الخلود .. العزيز المنال
نمد العصي ... ونلقي الحبال
لتنقش أسماءنا في الرمال
وتأتي الرياح .. رياح الشمال
فتجرف آثارنا ..... للزوال

❋❋❋

ويمضي القطار .. ويعلو الغبار
فيخفي عن الركب وجه النهار
ويفني الصدى في حواشي القفار
وتغفو العيون .. ويهوي الستار
بطيئا ... على رحلة في قطار

# أمريكي في رحاب الحمراء !

للدكتور: الطاهر أحمد مكي

**« اعطه صدقة يا سـيدتي ... فليس في الحياة قسـوة تعـدل ان يصبح المرء اعمى في غرناطة »**

**ف . ١ . دلكانا**

وصل وشنجطن الى غرناطة ، وجاب ابهاء الحمراء، وتجول في « جنان العريف » ، واخذ بحي البيازين حيث تعيش بقايا الاسر العربية، لكنه لم يرد لنفسه أن يكون مجرد سائح امريكي عابر ، يرى الأشياء عجلا ، ويعجب بها عرضا ، ويتأملها ظاهرا دون أن يتعمق سرها ، ورأى أن خير وسيلة يبلغ بها غايته كاملة أن يسكن الحمراء نفسها .

كانت الحمراء حين اتخذ منها سكنا عزيز قـوم ذل ، ، وبقدر مايكون حظ قطان بيت من الجاه والعز أيام رفاهيته ، تكون رقة حال ساكنيه أيام ضعته وهوانه ؛ فبعد بني الأحمر وملكهم الزاهي ، والملكين الكاثوليكيين فرناندو وايزابيل ودخولهما الظافر ، وشارل الخامس واستعلائه الامبراطوري ، تقسمتها المحن وأناخت عليها البلايا ، فوكل أمرها كقلعـة حربية الى حاكم مستقل عن غرناطة ، احتفظ فيهـا بحامية واتخذ له من القصر العربي مقاما ، ثم نشب بينه وبين حـاكم المدينة خلاف ، انتهى به الى أن يجعل من درة بني الأحمـر مأوى للهـاربين من الأحكام ، والخارجين على القانون ، فتحولت قاعاتها الفسيحة وأبهاؤها الممتدة الى مأوى للسفلة والمجرمين والمتسكعين والمهربين وأراذل الناس ، واللصـوص وقطاع الطرق ، وكان هؤلاء ينقضـون على غرناطة ومن فيها ، ثم يلوذون بالحمراء ، فيحميهم حاكمهـا نكاية في ندم حاكم المدينة ، وبدهي أن يعبث هؤلاء بكل مقدسات القصر ، فأوحشت ردهاته ،وأجدبت حديقته وتهاوت مبانيه ، واحتلت قاعاته المـذهبة أسر وضيعة وطيور آبدة من بوم وصقور وخفافيش!

ثم اتخذه الفرنسيون خلال غزوهم اسبانيـا على عهد نابليـون ، مقرا لحاميتهم ، ونزل القـائد الفرنسي في نفس القصر العربي ، وأخـذتهم به شفقة ، فأصلحوا شيئا من أسقفه ، وغرسوا جانبا من حدائقه ، وأجروا المياه الى نافوراته ، لكنهم وهم غزاة عسكريون هدموا عند رحيلهم ابراج السـور الخارجي ، وأضعفوا من استحكاماته حتى لايفيد منها العدو ، فلم تعد تقوى بعدهم على شيء ، ثم جاء من حاول أن يصلح الأمر ، وأن يعيد الى القلعة شيئا من جلالها .

سكن وشنطن القصر العربي ، وخيل اليه داخله أنه طوى حاضره ، وانتقل بمشاعره الى أيام أخـر أيام كان للعرب هنا سـلطان وصـولة ، وعجب للأبنية ، وكـاد يبكيهـا ، كيف طاولت الزمن ، واستعصت على المحن ، وصـبرت على الهـزيمة ، وقهرت عوادي الفنـاء ! ، جـاب قاعاتها الفسيحة المرصعة بالمرمر ، وتأمل بركها الرحيبة وكـانت تغص بالسمك ، ومشى في أبهائها العالية وكـانت مسرحا لكثير من قصص العرب ،الجياشة بالعواطف، الناضحة بالحب ، الزاخرة بالخيال ، وجاب الحدائق فأحب زهورها وتفيأ ظلالها ، واستأنى عند قنواتها

العربية القديمة ، تجلب المياه من الجبال ، ولها خرير يشجي ، وبريق يأسر ، وأدرك أن وراء هذا الفن في رقته وجلاله ذوقا مرهفا ، وحسا نزاعا الى الطيب من متع الحياة .

استأجر وشنجتن حجرته من سيدة عجوز تدعى: « دنيا انتونيا مولينا » ، أو العمة « انتونيا » كما كانوا ينادونها ، تأليفا لها وتوقيرا ، امرأة قوية ذكية غير متفقة ، وكل اليها امر القاعات العربية والحدائق ، ترعاها وتسهل امر زيارتها للراغبين من الغرباء ، ثم تعيش على مايجودون به ، وعلى مايتبقى له من ثمار الحدائق ، بعد أن يحمل الحاكم خير ما فيها من فاكهة وازهار ، ويقيم معها « مانويل » ابن اخ لها ، وبنت اخ آخر تدعى « دلورس » ، فتاة جميلة ، ذات عيون اندلسية سوداء ، وديعة ومرحة، تنفق جل وقتها في تربية الوان من الدجاج والحمام والقطط ، وكان الزائر الأمريكي يستأجر نزله باثاثه وطعامه ، فكانت « دلورس » تقوم بترتيب غرفته ، واعداد طعامه ، ولم يحتج وشنطن الى طويل من الزمن لكي يدرك أن غراما مشبوبا يشد « مانويل » الى « دلورس » ، وانه في ارتقاب أن ينهي دراسته في كلية الطب ، ويشترى فتوى البابا بالزواج – التعبير حرفيا لواشنجتن نفسه – لما بينه وبين ابنة عمه من صلة القرابة ، وكان يطيب له ان يتناول طعامه حيث يهوى : في ردهة عربية ، أو الى جانب نافورة ، أو في ظل شجرة ، أو على حرف قناة ، او في صحبة القمر ، فليس أجمل من رفقته في ليلة صيفية ، على تل مرتفع ، في مدينة اندلسية ، وأحيانا مع أسرة العمة « انتونيا » ، يتناولون الطعام سويا في قاعة عربية قديمة يتخذون منها مطبخا ومائدة ، وفي أحد أركانها اقاموا مواقد غير انيقة ، أفسد دخانها لون الجدار ، وكاد ان يطمس الزخارف العربية ، وفي المساء يتوافد على سيدة البيت عديد من الأصدقاء ، السكان الفقراء والخدم وزوجات قدامى الجنود ، يجلسون الى جوارها في خشوع ، ويتسمعون حديثها في ضراعة، وينقلون اليها آخر اشاعات المدينة تزلفا وقربى ، ومن حين لآخر يطيب لهم أن يسمروا ، فيعزف شاب على القيثارة ، وترقص الفتيات على النغم ، وتردد العجائز أغاني موروثة ، ويمضي الجميع في مباهجهم حتى آخر الليل .

يقول وشنجتن ان أول قصة قراها في طفولته الأولى ، في العالم الجديد وراء المحيط ، كانت قصة اسبانية عن حرب غرناطة ، وأن المدينة عاشت في أحلامه، وزارها عبر الخيال ، وعند ما تحقق له ماكان لديه حلما ، « كان من الصعب على أن أصدق أنني اسكن قصر أبي عبد الله حقا ، وأطل من شرفاته على غرناطة » ولقد صور له الخيال أنه في الجنة ، وأن « دلورس » القائمة على خدمته ، ليست الا واحدة من حورها !

لكن الحمراء بالنسبة لوشنجتن لم تكن مجرد معمار وبناء وتاريخ ، ومصدر الهام وخيال وأحلام ، ولكنها أيضا هؤلاء البسطاء من الناس ، الذين تعرف اليهم واختلط بهم ، من رجال ونساء يعيشون حياة قلقة مثيرة ، ولئن أفسدوا ارستقراطية القصور وهدوءها ونظافتها وبهاءها ، فقد اكسبوها طابعا شعبيا أضفى عليها مسحة من التاريخ المتحرك، وقد وثق صلاته بهم ، وعرف أخص دخائلهم ، وكانوا له مصدرا فياضا لحكايات فاتنة وخيال جموح .

عرف تصورهم للقضايا ، ونظرتهم الى التاريخ، وموقفهم من امسهم العربي ، آراء لم تسجلها على ايامهم ، أو ما بعدها ، كتب ، استعلاء أو تجاوزا، لأن مايؤمنون به لايجارى تعصب الكنيسة ، ولا يرضى أهواء الحاكمين .

والى جانب هؤلاء البسطاء من الناس أو ابناء الحمراء ، كما يسمون أنفسهم ، عرف أيضا الطبقة العليا في المدينة ، حضر حفلاتهم ، وجلس الى موائدهم ، وتردد على قصورهم ، وافاد من مكتباتهم وحضر حفلاتهم الاجتماعية ، ولها طابع عربي، وكانوا يؤثرون ان يقيموها في بيوت عربية ، وليس افضل من الحمراء مكانا . وقد لزم القلعة جل وقته ، وقليلا كان يهبط الى المدينة ليزور صديقا ، أو يطوف بحي البيازين ، متجاوبا مع بيوته المتواضعة والوقورة في نفس الوقت ، ودكاكينه ذات الطابع العربي في نظامها وطرائق العمل بها ، وقد حضر في حي البيازين حفل زواج لاثنين من غمار الناس ، ينحدرون من اصل عربي ، ومن خلال صلاته هذه، أعطانا وصفا للاسبان الذين تقيم في أعلى المجتمع وأدناه على السواء : هناك طبقتان من الناس حياتهم

بهجة دائمة ، الأغنياء الموسرون والفقراء المعدمون ، الأولون لانه لا شيء ينقصهم ، والآخرون لانه ليس لديهم شيء يعملونه ، وليس هناك من يعرف هذا الفن، فن من لا يعملون شيئا ويعيشون على غير شيء ، خير من الطبقات الفقيرة في اسبانيا ، فللمناخ النصف ولمزاجهم النصف الآخر : اضمن للاسبانى ظلا في الصيف ، وشمسا في الشتاء ، وقليلا من خبز وثوم وزيت وحمص وعباءة وقيثارة ، وبعد ذلك فلتجر الدنيا كما تشاء » .

– ٤ –

هناك ، وسط الهدوء والتاريخ ، على ارض الاساطير والأمجاد الضائعة ، بدأ يجمع ويكتب الحكايات التي سمعها من أفواه الضائعين من الناس في ثرثرتهم التافهة ، وهم نصف سكارى ، او في قمة البهجة ، وحول هذه المعتقدات الشعبية الى تاريخ مبسط اعطاه عنوانا « **حكايات الحمراء** » ، واحد من أحسن الكتب التي الفت عن تراث الأندلس الشعبى ، أو اسبانيا الاسلامية بتعبير المحدثين من مؤرخى الاسبان .

الكتاب في مجموعه سلسلة من الحكايات التي كان يتداولها شفاها بقايا العرب الذين اكرهوا على اعتناق الكاثوليكية ولم تشملهم قوانين الطرد ، وتنتمى الى عصور مختلفة ، وتخالطها ذكريات وشنجتن الشخصية عن اقامته في غرناطة والحمراء ، وعلى الرغم من انها كتبت في عصر رومانتيكى ، وان كاتبها يتحرك في خلقه الفنى داخل هذا الاطار ، ما زالت تحتفظ بسحرها وجمالها وقيمتها كأثر شعبى وادبى ، الى جانب ان وصفه التاريخى للحمراء وحجراتها وسكانها في تلك الفترة من الزمن يحظى من المؤورخين باهتمام كبير ، ولقد اصبحت غرناطة بفضل هذا الكتاب مدينة رومانتيكية ، وجذبت أجواؤها العربية اهتمام كل الوافدين عليها ، حتى ان كاتبا اسبانيا هو ريكاردو فايا ربال شكا من آن الرحالة من الأدباء الرومانتيكيين وقفوا جهدهم كله في البحث عن الأساطير العربية والرومانسية على الرغم من أنهم اوربيون ، وركزوا اهتمامهم كله في غرناطة العربية، أو على نحو أوضح لم تجذبهم الكنائس وما فيها من بذخ ، ولا القصور الاسبانية وما انفق عليها من مال، وهو امر علله وشنجتن نفسه : « ان الكآبة كانت تشع من المبانى الاسبانية التي اقامها المنتصرون الى جانب ، أو على انقاض ، المبانى العربية وقد بناها أناس كانت حياتهم دون شك من اعجب أطوار التاريخ وأجلها » .

كذلك اعطانا تفصيلات عن الشوائع الهامة عن كنوز العرب ، أولئكم الذين طردوا من بيوتهم يوما ، والقى بهم في البحر ، يكافحون أمواجه الشرسة ويواجهون اهواله الغادرة ، حتى يبلغوا شاطئا للامان ، ولم يكن أى منهم يصدق عينيه ، طردوا دون ان يسمح لهم بحمل شيء من ثرواتهم، فحاولوا الاحتفاظ بها ، املا في عوده ، طمروها بطن الارض او اودعوها قمم الجبال ، وحيثما سرت في الاندلس تجد لها ذكرا وعنها باحثين .

ولقد عثر على شيء منها ، وذهب اغلبها لأن أصحابه امعنوا في اخفائه ، ولم يعودوا اليه كما كانوا يؤملون لاهم ولا احفادهم من بعدهم، وهى ثروات الفتها مع الزمن أساطير شرقية الطابع : تحرسها تعاويذ وتخفيها طلاسم ، ويقوم دونها وحش كاسر او تنين شرس ، وأحيانا عرب مسحورون ، جامدون كالتماثيل ، لهم سيوف مسلولة وعيون لا تنام !

بلغ من أعجاب وشنجتن بالحضارة التي رآها أنه فكر في كتابة سلسلة من الأبحاث للدفاع عنها وتوضيح موقف العرب في اسبانيا ، وبدأ ذلك فعلا بدراسة العرب في موطنهم الأول ، فاصدر كتابه « محمد وخلفاؤه » ، عرض فيه لمولد الاسلام ونشأته ، وتاريخه حتى عشية فتح اسبانيا ، لكنه وهو الرجل الرومانتيكى الرحالة ، صاحب الخيال المفرط لم يستطع ان يبلغ في كتابه هذا ما بلغه في « **حكايات الحمراء** » ، ومن ثم لم يحقق ما وعد به كاملا ، فقد اصدر كتابه «**اساطير فتح اسبانيا**»، تناول فيه كثيرا من الروايات التي صحبت اختفاء « لذريق » آخر ملوك القوط ، ثم « فتح غرناطة » على يد المسيحيين ، ثم توقف جهده عند هذا الحد ، فلم يعرض لما بين الفترتين ، ولم يكمل دراسته الخاصة بتاريخ العرب والمسلمين .

لقيت « حكايات الحمراء » شهرة عالمية واسعة،

وترجمت الى أكثر من عشرين لغة ، ويباع منها فى العام الواحد عشرات الألوف ، فما من قادم على الحمراء ، وجائل فى قصور بنى الأحمر ، وواقف باطلالهم ، الا ونسخة منها بيمينه ، يتخذ منها رفيقا ودليلا .

عندما عاد وشنجتن الى مدريد ، فى الستين من عمره ، بعد غيبة دامت خمسة عشر عاما ، كسفير لبلاده فى اسبانيا ، كان يقيم فى غرناطة اكثر مما يقيم فى مدريد ، وعندما غادرها الى غير رجعة، بكاها بكاء صادقا ، وبرح به الشوق مخلصا ،وقال: « لم ار فى حياتى مكانا أحلى من الحمراء ، ولايمكن أن أرى لها فى مكان آخر مثيلا » .

— ٥ —

اذا كان وشنجتن قد أخذ بهذه الأساطير ونقلها لنا فى خيال رائق ونسج محكم ، فانها بالنسبة لنا نحن ، الذين كنا هناك يوما ، وثائق تسد فجوات فى تاريخنا ، تعاونت قوى كثيرة على طمسها ، واذا كانت هذه الذخيرة من الوثائق التقطها مؤلف واحد، امريكى الروح والعقل والمشاعر ، فى مكان واحد هو الحمراء ، من غمار الناس اللائذين بقصور بنى الأحمر ، فكم من الحكايات المشابهة فى قرى أخرى كثيرة ، لم يسجلها احد ، ولم يقدر لها بعد أن تصبح تاريخا مكتوبا !

ان وشنجتن نفسه قد اشار من بعيد الى شيء مما أتصوره ، يقول : « رأيت فلاحى أرباض غرناطة يغنون قصة بنى سراج فى أبيات مروعة على نغمات قيثارة باكية ، بينما السامعون يستنزلون اللعنات على أبى عبد الله آخر ملوك بنى الأحمر » ، ولم يسجل لنا هذا الشعر الاسبانى الحزين ، يبكى فرسانا ويلعن ملكا مهزوما ، لأنه كان يرى فى ابى عبد الله رأيا آخر ، غير ما يرى التاريخ والأساطير، كان يراه سيىء الطالع ، نكد الحظ ، لعبة فى يد أحداث أقوى منه ومن أى انسان .

**أريد أن أقول :** اننا فى حاجة الى طليعة تسافر الى الأندلس ، من المتخصصين فى أدبها وحضارتها، تعيش فى القرى ، وتختلط بالعامة ، تسمع منهم ، وتعى عنهم ، وتسجل ما يثرثرون ، وهى طليعة لن تؤتى ثمارها الا اذا كانت جادة ، تؤمن برسالتها ، بل تسافر على نفقتها ، حبا فى العلم وطلبا له كما كان يقول أسلافنا الطيبون ، وسوف تعود لنا بحصيلة وافرة من الأمثال والقصص والحكايات كثير منها لم يسجله الأسبان انفسهم ، لأنه على غير ما تهوى الكنيسة هناك ، فمازال للكنيسة بعد سلطانها القاهر على كل ما ينشر من مطبوعات .

تحقق والتاريخ كان الأمر موضع حديث ودراسة مع استاذنا الجليل محمد سعيد العريان ، يرحمه الله ، ذات يوم فى مدريد من صيف عام ١٩٦١ ، وكان يطيب له ، طيب الله ثراه ، أن يستأنى بالأندلس أياما اذا كان فى طريقه الى عدوة المغرب، ويتعذوبين من قلبه وعقله مكان ، وسألنى لم قعدت عن هذا الواجب ؟ ، وقلت حييا ، انا مبعوث طالب شهادة ، يريدنى القانون أن اتردد على الجامعة ، والتصق بالاستاذ ، واختلف الى المكتبة ، واتقدم ببحث وانال اجازة ، ووقتى ضيق ، وراتبى محدود ، فاطرق مليا وراقت له الفكرة ، ولم يكن يعدل ايمانه بالعروبة والاسلام الا ذكاؤه الخارق ، ولما حيته الوضيئة ، وشجاعته الملهمة فقال : لنعد لها فى قابل الأيام سويا ، أنا وأنت ، اكون فى المعاش الفيت عن كاهلى اثقال الرسميات وتكون فى الجامعة ، مدرسا طالب علم ، وقلت : ان شاء الله ، ومضت اعوام ثلاثة على لقيانا ، عدت بعدها الى القاهرة لأفجع فيه ، وفى أمل علمى رجوت أن يتحقق ، أجل وجدت محمد سعيد العريان قد اصبح روحا فى جوار الله ، وخبرا يتحدث عنه التاريخ !

وبعد .. ان المجد مازال ينتظر كاتبا يعرف كيف يتحدث عن الأندلس !

« د . الطاهر احمد مكى »

# دعوة

للشاعر: أحمد رامى

دعتني الى عشهـا الساحر
على شفة الجدول الهادر
اشم عبير الجنى والورود
واقطف من روضهـا الباكر
واشرب نور الصباح السنى
على وجههـا المشرق الباهر
واسهر ليلى اناجى المنى
على طلعة القمر السافر
ايا حبة القلب ناديتنى
فلبيت اسعى الى آمرى
وكيف اطيق ابتعادى عنك
وحبك يا فتنتى آسرى
تمثلت لى فى سكون الدجى
خيالا تراوح فى خاطرى
يحدثنى عن جمال الربيع
ويمدح فى جوه العاطر
ويهمس لى بحديث الهوى
اذا طاب ليلى مع السامر
نعم سوف أسرى اليك وقلبى
يرفرف كالطائر الحائر
وعينى تتوق الى نظرة
تهنئه من وجدى الثائر
واذنى تحن لرجع الصدى
اذا رن فى سمعهـا الفاتر
وما عجب منك فى دعوتى
الى عشك اليانع الزاهر
فانك انت ندى الظلال
يحن الى صدحة الطائر
وانت الغدير شهى الزلال
يتوق الى العارض الماطر
وانت الغصون رطاب الجنى
ترحب بالزائر العابر
وانت من الغيب يا فتنتى
معان تنادى على شاعر

# أغنية لنجم المساء

الشاعر : سعد دعبيس

ايهذا الشاعر السارى مع النجم البعيد
ضائع انت ، سيفنى فى متاهات الوجود
عصرك المجنون بركان ونار وحديد !
لا يرى فى النجم الا ومض برق ورعود

نجمك الحالم امسى رهن صمت وقيود
افقك النشوان وهم ذكريات لن تعود
نايك الهامس للنجم ترانيم العبيد
خفقة « الموال » بالحب ·· هروب وجمود

نجم هذا العصر لا يسمع نجواك الحزينه
لم يعد يسكب للنهر اساه وحنينه
لم يعد يسرى مع الشاعر ينسيه شجونه
لم يعد قلبا صديقا للتعاسات الدفينه

قيدوه موثق الأضواء فى قلب المدينة
ورموه فى بحار الليل اعماقا سجينه
ثم قالوا : امسك الحالم اشباح لعينه
لتكن شيئا جديدا فى « نيونات » المدينه

نجمك الحالم يا شاعر ·· ضل للتراب
وهوى فى معبد الحقد اساطير عذاب
ومضى فى ليله الأعمى يغنى للذئاب !
للدجى يسفح قلب الشمس فى بحر الضباب

لاعنا من لا يرون النجم اوهام سراب
وبقايا من تراب سوف تمضى لتراب !
صارخا : ما عدت لحنا للندامى والصحاب
ورفيقا يمسح الدمعة فى ليل اغتراب

آه ·· يا شاعر ·· يا نجما سرى دون مساء
يا غريبا لم يعد ياسو جراح الغرباء
افقك المسموم امسى نار حقد ورياء
وبراكين دمار ، واعاصير شقاء

عد الى افقك يا شاعر ·· يا نجم المساء
عصرنا وحش دماء لا يرى غير دماء
عد اليه نبع حب ، وكئوسا من ضياء
عد الى اخوتك الأنجم ·· يا نجم المساء

# الصورة في الشعر العربي

## للدكتور: كمال نشأت

يقصد بالصورة – فى مجال الشعر – الصورة الخيالية التى تقوم اصلا على تركيب يأخذ مكوناته من جزئيات الواقع التى تستعمل كخيوط فى نسيج متكامل يختلف قربه من الواقع المحس او بعده تبعا لأداة الشاعر وموضوعه وقوة ابتكاره او ضعفه.

والصورة الشعرية مهما حاولت تصوير الواقع المرئى فى بساطة لابد أن تحمل فى صميم مكوناتها شيئا يبعدها عن حدود المشاهدة الخارجية بحيث تحرك مخيلة القارىء أو السامع ولو عن طريق التشبيه .

ان الصورة الشعرية لون من التعبير المجازى فى ابسط حالاتها وهى اكثر اعتمادا على الاستعارة والكناية ، وهما اسلوب التصوير الفنى مادام الشاعر يلجأ الى الالفاظ كوسيلة اداء .

فاذا كان مفهوم الصورة الشعرية هو ( الرسم ) بمعناه المعروف – كما يعتبرها بعض النقاد – فان مجالها هنا يتسع وان تركز فى حدود التصوير البصرى . الا ان الواقع المتمثل فى النماذج الجيدة للصورة الشعرية يؤكد ان عمل الحواس الأخرى لا يقل اهمية فى بناء الصورة الشعرية عن حاسة البصر وبخاصة فى شعر المدرسة الرمزية . على اننا – ونحن بسبيل الحديث عن الصورة الشعرية فى الشعر العربى – لا ننسى أن نقرر هنا استحالة وجود شعر خال من الصورة الخيالية ، لان الشعر بطبيعته يقوم عليها والاختلاف بين شعر امتين مثلا يكون فى بساطة الصورة أو تعقيدها ووفرتها أو قلتها كما نرى ذلك فى شعرنا العربى القديم . فان اهتمام الشعراء بالمعانى وجريهم وراء الافكار العقلية المبلورة التى تتمثل فى ابيات الحكمة قد صرف انظارهم عن الصورة كوسيلة تعبير فنية ، صحيح ان شعرنا القديم لم يخل منها ، ولكنها لم تكن اداة تعبير مطردة فى شعر شعراء معينين او فى شعر جيل من الشعراء التفت اليها وعرف قيمتها كوسيلة للتعبير الفنى . ولعل راى الناقدين **ابن قتيبة وابى هلال العسكرى** فى الأبيات المشهورة التالية يبين الى اى حد كانت الصورة الشعرية بعيدة عن اذهان النقاد والأدباء :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا
ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا
وسالت باعناق المطى الاباطح

فعلى الرغم من جمال الصورة ودقة خطوطها ، كان حكم ابن قتيبة عليها انها من الشعر الذى (حسن لفظه وعلا ، فاذا انت فتشته لم تجد هناك طائلا ، اما ابو هلال فقد قال عنها (وليس تحت هذه الالفاظ كبير معنى). فالناقدان – كما راينا – لم ينظرا الا الى (المعانى) ، والأبيات (ما دامت ترسم صورة متكاملة) خالية من المعانى، لانها قصدت الى التصوير لا الى التعامل مع الافكار العقلية . الا أن الشاعر العربى القديم قد وقع على الصورة الشعرية المتكاملة بفطرته الصادقة على الرغم من ان الاتجاه التعبيرى للشعر العربى كله كان البحث عن ( المعنى ) . ولعلنا نرى مصداق ذلك فى بيتى ذى الرمه :

عشية ما لى حيلة غير اننى
بلقط الحصى والخط فى الترب مولع
اخط وامحو الخط ثم اعيده
بكفى والغربان فى الدار وقع

فالشاعر هنا لم يلجأ الى التقرير المباشر متمثلا فى فكرة او معنى عقلى – كعادة الشعراء – لتصوير ذهوله واستغراقه فى الأسى ، ولكنه لجأ الى الصورة التى اوحت بكل ما يريد فى دقة وضبط.

واننا لنلاحظ أن الصور الشعرية التى وقع عليها شاعرنا القديم كانت صورا حسية ، بمعنى انها تصوير متكامل لواقع خارجى تلتقطه العين فى ابعاده المادية ، وان دخلت نسيج هذه الصور بعض الالوان البيانية وبخاصة التشبيه . واستخدام اسلوب التشبيه بكثرة فى مجال التصوير الشعرى ظاهرة مطردة عند الشاعر العربى القديم خصوصا اذا لجأ الى وصف الطبيعة ، والأمثلة على ذلك لا حصر لها وسنكتفى هنا ببعض الامثلة الدالة :

فالمتنبى يصف بحيرة فيقول :

لولاك لم اترك البحيرة والغور
دفىء وماؤها شبم
والموج مثل الفحول مزبدة
تهدر فيها وما بها قطم
والطير فوق الحباب تحسبها
فرسان بلق تخونها اللجم
كأنها والرياح تضربها
جيشا وغى : هازم ومنهزم
كأنها فى نهارها قمر
حف به من جنانها ظلم
تغنت الطير فى جوانبها
وجادت الارض حولها الديم

فالمتنبى يصف فى ابياته هذه البحيرة وصفا تقريريا ، يلتقط الرقعة المبصرة ليقدمها عن طريق التشبيه الذى لا يكاد يخلو منه بيت ، وكذلك فعل **البحترى** فى وصف بركة المتوكل :

ما بال دجلة كالغيرى تنافسها
فى الحسن طورا واطوارا تباهيها
كأن جن سليمان الذين ولوا
ابداعها فأدقوا فى معانيها
تنصب فيها وفود الماء معجلة
كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجرى فى مجاريها

ومثلهما فعل **ابن عمار** فى وصف الغيم والمطر :

يوم تكاثف غيمه فكأنه
دون السماء دخان عود اخضر
والطل مثل برادة من فضة
منثورة فى تربة من عنبر
والشمس أحيانا تلوح كأنها
أمة تعرض نفسها للمشترى

ويطرد هذا الاسلوب الذى يقوم على تقديم صورة الواقع المرئى معتمدا على (التشبيه) حتى شعراء النهضة الحديثة ، فنراه عند البارودى فى مثل قوله :

ومرتبع للذنا به غب سحرة
وللصبح أنفاس تزيد وتنقص
وقد مال للغرب الهلال كأنه
بمنقاره عن حبة النجم يفحص
اذا لاعبت أفنانه الريح خلتها
سلاسل تلوى أو غدائر تعقص
كأن صحاف الزهر والطل ذائب
عيون يسيل الدمع منها وتشخص
كأن شعاع الشمس والريح رهوة
اذا رد عنها سارق يتربص

كما نراه عند **حافظ ابراهيم** فى وصفه للبحر :

عاصف يرتمى وبحر يغير
أنا بالله منهما مستجير
وكأن الامواج وهى توالى
محنقات أشجان نفس تثور
أزبدت ثم جرجرت ثم ثارت
ثم فارت كما تفور القدور
ثم أوفت مثل الجبال على الفلك
وللفلك عزمة لا تخور

وقد جر استخدام أسلوب التشبيه فى وضعه البلاغى الحرفى الى كثير من التناقض المعنوى او النفسى او الواقعى ، مثلما نرى فى ابيات المتنبى التى يصف بها الطير «والرياح تضربها» وهى صورة لا تتسق وقوله «وتغنت الطير فى جوانبها» فان الطير لا تغنى والرياح تضربها وهى لا تغنى ايضا والديم تجود الارض !

وفى نفس هذا الخطأ وقع لبيد فى ابياته التى وصف فيها ناقته حين شبهها بالبقرة التى فقدت وليدها

بعد أن شبهها بالأتان البرية التى يطاردها فحلها ، ففى الصورة الأولى روعة وأسى يمثلهما الاحساس بالفقد لدى البقرة التى تجرى فى فزع وحزن باحثة عن وليدها ، وفى الصورة الثانية توثب وانطلاق ولذة ، ويتمثل هذا كله فى مطاردة الفحل لانثاه وهنا يكون التناقض بين جزءى الصورة الكلية ، والسبب فى ذلك يرجع الى ان الشاعر لم ينظر الا الى وجه شبه واحد يجمع هذه الصور هو (السرعة) التى اراد أن يصف بها ناقته .

ويقع **شوقى** كذلك فى نفس الخطأ فى ابياته التى يصف فيها أنس الوجود :

قف بتلك القصور فى اليم غرقى
ممسكا بعضها من الذعر بعضا
كعذارى أخفين فى الماء بضا
سابحات به وأبدين بضا

فالشاعر لم ينظر فى صورته هذه الا الى (وجه الشبه) المرئى الذى يقوم فى الأعمدة على الاستدارة واختفاء بعض أجزائها فى الماء مقابلا بينها وبين أجسام العذارى المستديرة وأفخاذهن التى أخفى الماء بعضها ، وفات شوقى التناقض البيّن فى الجو النفسى الذى توحيه الصورة كلها ، فالاعمدة تمسك نفسها (من الذعر) وبذلك يشيع فى البيت الاول جو الخوف من الغرق بل الذعر الذى جعل هذا البيت ذا مناخ نفسى مناقض لمناخ البيت الثانى المصور للعذارى المستحمات فى النهر وهى صورة لا توحى الا بالانطلاق والشباب والمرح والبهجة .

ولو قال شوقى (ممسكا بعضها من الشوق بعضا) لكانت صورته أقرب الى الوحدة النفسية التى يجب أن تسوّد الصورة كلها .

وقريب من ذلك أبيات ايليا ماضى التى يصف فيها الماء :

السحب تركض فى الفضاء الرحب ركض الخائفين
والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين
والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين

فان الخبرة بالبحر تجعلنا ندرك انه لا يكون ساجيا صامتا فى الوقت الذى يركض فيه السحاب ركض الخائفين !

على أننا ــ ونحن فى مجال الاشارة الى أسلوب التشبيه كوسيلة تعبيرية اطردت فى شعرنا القديم حتى أوائل نهضتنا الحالية كلما تعرض الشاعر لرسم الصورة الشعرية ــ نحب ألا نغفل رائدا من روادنا ، كان له أثر فى نقل الصورة الشعرية نقلة فنية جديدة ، هو الشاعر خليل مطران الذى نراه فى قصيدة (المساء) التى قالها عام ١٩٠٢ يتنكب طريق الوصف التقريرى للواقع الخارجى ، ويندمج فى الطبيعة اندماجا أقرب الى الاندماج الصوفى حتى أن الدكتور مندور أسماه بـ (الحلول الشعرى) ، ونستطيع أن نرى ذلك فى ابياته التالية :

ولقد ذكرتك والنهار مودع
والقلب بين مهابة ورجاء
وخواطرى تبدو تجاه نواظرى
كلمى كدامية السحاب ازائى
والدمع من جفنى يسيل تفاره
فوق العقيق على ذرى سوداء
مرت خلال غمامتين تحدرا
وتقطرت كالدمعة الحمراء
فكان آخر دمعة للكون قد
مزجت بآخر أدمعى لرثائى

فاذا كان الشعراء القدامى وبعض شعراء نهضتنا الحديثة قد انصرفوا الى استخدام الصورة الشعرية وصفا تقريريا للواقع الخارجى ، فان المدرسة الرومانسية ابتداء من خليل مطران اخذت تتنكب هذا الطريق ، فأصبح همها تصوير وقع هذه المشاهد الخارجية فى النفس اكثر من الاهتمام بوصفها وصفا يحدد أبعادها المادية ، بحيث أصبح شعرهم فى هذه الناحية نوعا من الوجدان التصويرى لا ضربا من المحاكاة للمشاهد البصرية (١) ، وربما اعانهم على ذلك ــ وبخاصة فى مجال وصف الطبيعة ــ انهم على خلاف أجدادهم من الشعراء نظروا اليها كملاذ يلجأون اليه ويتعاطفون معه الى حد انهم أسموها ( الطبيعة الأم ) (٢) .

ومنذ جماعة أبولو والمدرسة الرمزية الغربية تؤكد تأثيرها فى الصورة الشعرية فى شعرنا الحديث **وبخاصة عند أبى شادى وحسن الصيرفى ومحمد الهمشرى** الذى يقول :

(١) لم نذكر شواهد على ذلك خوفا من الاطالة . ولكننا نحيل القارئ الكريم الى قصيدة « العودة » لناجى كمثل جيد لهذا الاتجاه .

(٢) راجع شعر أحمد زكى أبى شادى فى الطبيعة .

المساء المقيم الذهبي
والفناء المعطر الشفقي
وخيال الاشجار يحلم فيها
الأريج المجنح الليلي
والخرير البنفسجي يغني
في سراه بها القدير الخفي

وهنا يتابع الهمشري مدرسة الرمز التي تستهدف الايحاء لا الابانة والوضوح التقريريين وذلك عن طريق الخلط بين معطيات الحواس والموسيقى الرخية وابتداع التركيب اللفظي الجديد البعيد عن (الاكليشيه) المبتذل الذي فقد ايحاءه لكثرة دورانه على الاقلام والالسنة ، وبذلك رفض الهمشري في وقت مبكر نسبيا العلاقات التي فرضها الاستعمال اليومي على اللغة ، واذا به ينظر اليها نظرة جديدة مكونا من مفرداتها عالمه الشعري الخاص وان لم ينسحب جو الرمز على كل شعره.

لقد حولت المدرسة الرمزية ـ تحت تأثير نماذجها الجيدة ـ طريق التصوير الشعري في شعرنا المعاصر ، ونقلته نقلة واسعة الى مجال جديد وسبب هذه النقلة الفارقة بين دربين تعبيريين هو ان أسلوب التصوير في شعرنا القديم كان ـ كما اشرنا من قبل ـ يميل الى رصد الظواهر ووصف المشاهد الخارجية مع شيء من التلوين البياني ، اما الرمزيون فهم ينكرون هذا الواقع المادي الخارجي ولا يعترفون به ، وعملهم هو الانكفاء داخل نفوسهم معبرين عما بأعماقها بصور مركبة تبعث على الانبهار والدهشة خالطين فيها بين معطيات الحواس ، وبذلك لم يصبح همهم التصوير الفوتوغرافي للواقع المرئي الذي انكروه ، ومن هنا كانت هذه العوالم الغريبة الجديدة التي ابتدعوها والتي قامت على وحدة نفسية تربط بين الاشياء التي تبدو منفصلة في الواقع المشاهد . ولان الصورة الرمزية وحدة خاصة مكونة من جزئيات مركبة اختلطت فيها معطيات الحواس ، ابتعد الشاعر عن « التشبيه » الذي كان ـ كما رأينا ـ الأسلوب الغالب على الصورة الشعرية القديمة في شعرنا العربي ، وذلك لان التشبيه يحمل طرفيه ( المشبه والمشبه به ) فيؤكد الانفصال بين هذه الوحدة ، وهنا تبدو الاثنينية التي تؤكدها أداة الشبيه أيضا ، فالشاعر الذي يقول :

رفت على العاني حمائم عطفها
فكأنها أم تحن وتحدب

شبه حمائم العطف بالام وبذلك تركهما في وضعهما شيئين منفصلين ، وقد أكدت هذا الانفصال «الكاف» التي استعملت أداة للتشبيه .

ان الرمزيين يدمجون الأشياء لأنها واحدة في عالم الشعور وان كانت منفصلة في الواقع الخارجي ، ومن هنا كانت الاستعارة أقرب الى الأداء الرمزي لأنها بعيدة عن هذه الاثنينية التي يؤكدها التشبيه ، وقديما قال ارسطو ان جمال الاستعارة أو قبحها هو الفيصل في الحكم على الشاعر .

وقد استطاعت المشاعر القائمة التي تستفيق في نفس الشاعر ان تجد لها متنفسا في الصورة الشعرية الرمزية التي ابتعدت عن الوضوح واستهدفت الايحاء بافاقة الذكريات والتجارب النائمة في نفس المتلقي. وقد استفاد شعراؤنا المعاصرون من غنى هذا الأسلوب ، واستطاعوا ان يؤكدوا اصالته وبخاصة حينما يستجيب له مزاج الشاعر النفسي .

انظر الى قول **الفيتوري** :

على طرقات المدينة
وحين يشيد الظلام
تماثيله المرمرية
ويهدمها في عقون
وتهبط بالكائنات
سلاله اللولبية
وتغرق في الذكريات
لماض سحيق .. سحيق
سواحله العنبرية

انك تبتعد تماما عن هذه الأبيات اذا اردت ان تفهمها كما تعودت ان تفهم الشعر القديم ، فهي لن تعطيك معنى واضحا او صورة منتزعة من الواقع المرئي المألوف ، فتركيبها الخاص لم يقصد به ذلك ، وانما قصد به الايحاء ، ذلك ان الصورة الرمزية صورة نفسية اصلا تفقد المنطق العادي الذي يضع الأشياء في أماكنها الطبيعية .

ومثل هذه الأبيات قول **احمد كمال زكي** في قصيدته ( من عينيّ ) مركض الشـــمس على الفيروز ٠٠ ياصحوى الثرى كم ارقت الصبح عندى

كم نجوم صفت منها ابحرى
اعقد الشـــط بعيـدا

دع قلوعى للمدى ، للأفق ، للتيه القصى الأخضر

فهى – كما ترى – لاتعطى واقعا مالوفا كمـا انها لا تقدم مفهوما محدودا لأن صاحبها لم يقصـد الى التقرير أو الايضاح وانما قصـــد الى الايحاء عن طريق الصورة الشعرية المركبة التى ينداح تاثيرها فى نفس المتلقى فيحمله الى اجواء بعيدة ثرية كما تفعل هذه الأبيات ٠

اما التجسيد فهو وسيلة فنية من وسائل الرمز وان كان وسيلة قديمة عرفها الشعر منذ أن عبر به الانسان عن ذاته ، ولكن الرمزيين استغلوه استغلالا موفقا حتى اصبح من معالم اسلوبهم الفنى ، وقد تابعهم شعراؤنا المعاصرون فوفقوا فيه الى حد كبير ٠

انظر الى قول **محمد الجيار** :

ومدت الأجراس أذرعا من الأصداء تشير الى السماء فالأصداء التى (تسمع) ولا (ترى) تشكلت هنا فى صورة تجسيدية حيـة فأصبحت أذرعا تشـــير الى السماء ٠

ولعل **عبده بدوى** هو الشاعر الذى استفاد من المدرسة الرمزية لاستجابة مزاجه النفسى الى وسائلها التعبيرية ، فهو فى شعره كله يميل الى الرمز والى الخلط بين معطيات الحـواس والى التجسـيد وتلوين الصورة الشعرية والاحتفاء بالموسيقى اللفظية ٠

انظر الى قوله :

انا قد فتحت على الدجى شباك عطر اخضر

فانك سترى صورة مركبة عناصرها لا تتجمع فى الواقع كما تتجمع فيها ٠٠ دجى ٠٠ وشباك ٠٠ وعطر ٠٠ ولون ٠٠٠ ولكن الشاعر يبنى صـورته الخاصة من هذه الأشياء التى لا تجمعها علاقة فى الواقع المألوف ، ولكن انظر – على الرغم من ذلك – كيف استطاع أن يصور لك هذا الشباك ٠٠ شباك العطر (الذى يشم) الأخضر ( الذى يشاهد وهو بعد هذا التركيب الجديد للشباك يفتحه على الدجى ) ٠

وراجع نفسك لترى اثر هذه الصورة الشـعرية الهاربة من الواقع المحدود الى أوج تخيلى يعتمد على الايحاء الثرى ٠ وهو كثيرا ما يلجأ الى الألوان التى لا يقصدها لذاتها وانما ليسبغها على الأشياء التى لا تتصف – فى الواقع – بهـــذه الألوان ، وبذلك يوسع من رقعة الصورة ويثريها ويضع موصـوفاته تحت وهج رؤية شعرية جديدة ٠

فاذا كان شباك العطر ( اخضر ) فالنباح ( أسمر ) فى قوله :

« وعلا نباح اســمر »

او قوله :

« قد كنت لحما من صراخ ابيض »

وقريب من هذا التلوين الفنى قول الشاعر العراقى **هلال ناجى** يصف صوت الحبيبة وصفا تختلط فيـه العطور بهمسات المحيط بالحرير :

كان صــوتا بعضه عطر معتق
وبقـاياه كهمســـات المحيط
كل حرف فيه حلو وممـوسق
جنحه عطر وجنح من حرير

وهكذا لونت المدرسة الرمزية بمفاهيمها الصورة الشعرية في شعرنا المعاصر ومنحتهـا ثراء خصبـــا وابعادا رقاقة .

**« كمال نشأت »**

كلمة إنصاف

# لشاعر البراري في الفلاح

بقلم

محمد عبد العزيز حسن

قلب ظل ينبض طويلا بحب مصر واهليها ، وكانت نبضاته تترجم في اشعار ومقطعات رقيقة جميلة ، ودقيقة مستوعبة ، فيها كل الحب ، وكل الثورة ، وكل الأمل ... ثم سكت هذا القلب ، وظلت نبضاته بيننا ، تحكي وتقص وتؤرخ لهذا القلب الكبير ...

ولقد اختار هذا القلب طبيعتنا الريفية مسرحا لحبه ، ومرتعا لهواه ، يحكي من خلال حبه لها ، وشعره فيها ، مايحس به نحو نفسه وبني وطنه ، ويوقظ من خلال قوله كوامن الحق والعدل والحرية .

ذلكم هو شاعر البراري محمد السيد شحاته ... الذي يقدم نفسه لقرائه في مقدمة اول ديوان صدر له في عام ١٩٢٨ بقوله :

في الليلة الحادية عشرة من شهر ابريل سنة ١٩٠١ اخرجني الله جل شانه الى عالم الوجود لاحمل قسطي الوافر من هموم الحياة والامها ، وفي سنة ١٩٢٢ حصلت على ( شهادة الكفاءة ) للتعليم الأولى وفي ٦ سبتمبر من السنة المذكورة عينت مدرسا ببلدتي ( كفر الجرايدة ) .

وفي يناير عام ١٩٦٣ فاضت روحه الى بارئها ، بعد ان خلف لنا تراثا شعريا فريدا وآثارا أدبية فذة تضمها دواوين عديدة صدر أكثرها وبعضها مازال بخط يده مطويا ينتظر البعث .

وقد بدا شاعر البراري يراسل الصحف والمجلات فنشرت له جريدة ( الأهرام ) اكثر شعره ويقول الطون الجميل في الجزء الأول من ديوان ( بين احضان الطبيعة ) لشاعر البراري والذي صدر عام ١٩٤٢ تلقيت في احد الايام ، منذ سنتين مع « بريد الأهرام » رسالة صغيرة مطوية على بضعة ابيات من الشعر مكتوبة بخط جلي جميل ، فلما قرات الأبيات اعجبني مافيها من اشراق المعاني ورقيق الشعور ، مع دقة في الملاحظة ، وجدة في الوصف ، وكانت مذيلة بتوقيع « شاعر البراري » فحفظنا اللقب ، ونسينا الاسم وظل « شاعر البراري » يوافينا الفينة بعد الفينة بابيات تتراوح بين الخمسة والستة ، وقلما تتجاوز السبعة او الثمانية ، فنجد دائما لها مكانا للنشر على ضيق المكان ، بين اخبار الحرب وانباء السياسة ، فتبدو كالابتسامة الوضاءة بين غيوم هذه وفواجع تلك لان موضوعها كان دائما مستمدا من عذوبة الطبيعة ، وجمال مناظرها ...

ويقول : انه حين طلب اليه تقديم الديوان : اجبت الطلب عن طيب خاطر ، وانا واثق اني اقدم الى دوائر الأدب شاعرا ربما لم يكن له ماض ، ولكن له حاضر مذكور ، وسيكون له مستقبل ملحوظ في عالم الشعر ...

ثم يختم تقديمه بقوله :

كان الريف المصري ينشد شاعرا مطبوعا يتغنى بجماله ، ونعتقد انه وجد « حسانه » في « شاعر البراري » كما نشرت الى جانب « الأهرام » مجلات « الثقافة » و « المقتطف » الكثير من شعره ، وفي مقدمة الجزء الثاني من ديوانه «بين احضان الطبيعة» الذي نشر عام ١٩٤٨ كتب الاستاذ محمد فريد ابو حديد :

عرفت « شاعر البراري » منذ سنين قبل ان اراه : كنت اقرا له ماينشره في الأهرام وفي الثقافة وفي غيرهما من الصحف التي كانت تفسح لشعره صدرها ، وكنت كلما اطلعت على قطعة من نفثاته القصيرة اقف عندها ساعة لا اقف مثلها عند طوال القصائد ، فقد كان شيء لا استطيع تحديده يستوقفني عندها ، لاستعيدها واجيل بصري فيها ، كنت اسال نفسي عن ذلك الشيء الغامض الذي يستوقفني ، فلا اكاد اهتدي الى جواب الا ان في ذلك الشعر روحا ينبع من ثنايا الفاظه وصوره ..

ولا احسبني في هذه الكلمة قد قصدت الى ترجمة شاعر البراري وانما هو تعريف عجل ، او تقديم للقارئ الذي غابت عنه معرفة الشاعر ، على اني اعد بالعود لتقديم الشاعر وشعره في دراسة مستوعبة ، وانما القصد بالكلام هنا شيئا آخر .

فقد صدر في اول مارس من هذا العام في المكتبة الثقافية كتاب بعنوان « الفلاح في الادب العربي » للاستاذ « محمد عبد الغني حسن » قرات فيه في صفحة ٥٥ وما بعدها شيئا عن شاعرنا اقتطف منه ما يلي :

• ولم يكن الهمشرى هو الشاعر الوحيد الذى اطال فى وصف صور الريف والقرية ، ولكن قصر فى وصف حال الفلاح ، فهناك شاعر ريفى عاصره معاصرة قريبة ، ووصف الطبيعة الريفية كما وصفها الهمشرى ، ولكنه استغرق فى وصف الطبيعة والريف ، فالهاه ذلك عن تصوير الفلاح ، وهذا الشاعر هو « محمد السيد شحاته » الذى كان يلقب بشاعر البرارى » •

ويتابع الكاتب الحديث عن شاعر البرارى بعد ذلك فيقول : «على حين يزدحم ديوان « بين احضان الطبيعة » لشاعر البرارى بقصائد ومقطعات انيقــة فى وصف الغروب والشفق ، وزهور الريف ، والقرية ، والمحراث ، والساقية ، والقطن ، والصفصافة وسنبلة القمح ، وما اليها من مجال الطبيعة فى الريف ، فانك لا تجد بين هذا المزدحم من الصور الطبيعية الجميلةالا مقطعــة واحدة من اربعة ابيات بعنوان «الفلاح» وقدم سيادته للابيات ثم اوردها وعقب عليها قائلا : وهذا « الاستغراق » فى الوصف الطبيــعى للريف مسئول الى حــد كبير عن ذلك الانفعــال لسكان الريف واهله من الفلاحين ، مع ان عدالة القســمة بين الاحساس بالارض والاحساس بمن على الارض ، كانت تقتضى وقفة قصيرة – او طويلة – من امثال هؤلاء الشــعراء الذين لم يعر الفلاح ببالهم ، على حين تشد انظارهم ، وتلفت انتباههــم ، فراشة حائمة ، او ماشية سائمة ، او شاة ثاغية •

ثم يمضى الكاتب فيقول : وهل تستكمل اللوحة الشــعرية الريفية كل مقوماتها اذا اشتملت على الساقية ، والقناة،والشجرة، والبقرة ، والمحراث ، والشادوف ، والفاس ، والكلب النابح ، والطير الصادح ، ولم يكن للفلاح فيها اثر ولا خبر •

ومضى الكاتب فى هذا الفصل بعد ذلك متابعا الحديث حول هذا المعنى وغيره ، ويعنينى ان اقف عند هذا الحد لانصف الرجل الذى وقف مع فلاحنا طوال حياته ، يصور فى شعره ما يعــانيه باوضح ما يكون واجرا ما يكون ، غير متاثر بنظرة الاتراك الى الفلاح او نظرة من دار فى فلكهم عكس ما يرى الكاتب •

ولقد كنت اتصور عندما وقع كتاب الاستاذ محمد عبد الغنى حسن فى يدى ، اننى ساجد انصافا لشعر شــاعر لم يظفر بما يستحق من دراسة مع انه شعر فريد فى ادبنا العربى او على الاقل تحية لجهاد شاعر تحمل فى ســبيل الفــلاح كثيرا من الاضطهاد والعنت ثم فارق الدنيا فلم تتبعه كلمــة وداع من شاعر زميل ، ولم تلحق به كلمة تابين من صديق اديب •

كنت اتصور اننى ساجد فى الكتاب ما يرفع تراب الاهمال عن شعر طالما اقض مضاجع الاقطاعيين فى عز سلطانهم دفاعا عن الفلاح ووصفا مثيرا لحاله وما يعانيه ، ولكن صدمنى ما قراته، فما يرضى شاعر البرارى فى قبره ان توصف قصائده ومقطعاته بالاناقة والرقة ، ولا ان يوصف هو بالشاعر الريفى ، ثم بعد ذلك يسلب ما عاش له ، وعانى بسببه الكثير •

ما يرضى شاعر البرارى ان يكتب عنه زميل صديق كالاستاذ محمد عبد الغنى حسن الذى قدمه لرئيس تحرير جريدة الاهرام انطون الجميل فى عام ١٩٤٢ فى كتابه الذى ينشره بعد رحيله عن الدنيا هذا الذى كتب وانما كان يرضيه ، ان يقرا الاستاذ الكاتب شعره فى دواوينه التى نشرها وخاصــة ديوان « بين احضان الطبيعة » الذى اشار اليه والذى نشر بين عامى ١٩٤٢ ، ١٩٤٨ فى جزءين ابان قسوة الاقطاع وسلطانه الرهيب ، حيث تكسرت اقلام ، واحتبست اخرى ، هذا الديوان الذى تحدث فيه شاعر البرارى عن فلاح البرارى فى كثير من مقطعاته وقصائده بالتصريح وبالتضمين ، مهاجما بذلك اكبر معاقل للاقطاع •

وشاعر البرارى فلاح من اول عمره الى اخره ، وفى كل لحظة من عمــره كان لاينسى انه فــلاح ، وابن فلاح فقير كانت له مع الاقطاع قصة دامية ، وكان شاعرنا اوفى ما يكون للريف واوفى ما يكون لساكنيه حتى ليقول فى البرارى :

ماجنــة الخلد – فى ظنى – وكوثرها
الا كوديانك الخضر وغدرانك

واقف الآن وقفات مع شاعر البرارى فى ديوانه بين احضــان الطبيعة – الذى ذكره الكاتب – فلعل الاستاذ ان يغير رايه اذا فكر فى اعادة طبع كتاب «الفلاح فى الادب العربى» ولعله ان يضع شاعر البرارى حيث ينبغى ان يوضع •

يقول شاعر البرارى فى قصيدة بعنوان « وفاء النيل » :

شكا بؤســه الفلاح للنيل والـيــا
وهــذا هدير النيل قد ردد الشكوى

فعلق على شــكواه يا نيــل انه
على بث شــكواه لغيرك لا يقوى

وفى مقطعة بعنوان « القطن » عدد ابياتها تسعة ابيات يقول شاعرنا :

خلت « لوزاتهــا » الوضــاء نجوما
طالعــات من الغصــون علينـــا

قد تبســمن فى المزارع للفــلا
ح ، اهلا بهن ادين دينـــا

ليتنــــا نقتــدى بهن فترعى
حق فــلاحنا الفــاع لدينـــا

قد اقر الفــلاح عينــك يا مصـ
ـر بمجهــوده وما قر عينـــا

بات يمشى الى الفنــاء حثيثــا
وســواه يمشى اليــه الهوينــا

يتشــكى ممـــا يعــانى ولــكن
اين من يسمع التشــكى ابرزا؟

ومقطعة « المحراث » التى ذكر الكاتب عنوانها ، لم تخــل ابياتها الثلاثة من ذكر الفــلاح فقد استقل بيت فيهــا حيث يقول الشاعر :

يمــده عرق الفــلاح متصـــلا
لرد ايحاش وجه الارض ايناسا

اما مقطعة « الساقية » فيستهلها الشاعر بقوله :

لم تستطع ان ترى الفــلاح مكتئبا
يستشعر الفقر فى واد يفيض غنى

فاستعطفتنا بانات مطولة
وأوقدت دمعها يستعطف الزمنا

وفي مقطعة بعنوان « زراعة الأرز » يقول شاعر البرارى :

أشاهدته اذ يصقل الحقل بينما
يبيض منه الماء ما كان أسودا

وهل هو حقل او صحيفة مؤمن
تبيضها التقوى ويصقلها الهدى

أشاهدته في ثوبه الرث عندما
مشى في لجين الماء يبذر « عسجدا »

بربك ان شاهدته مرة فقل
لك الله يا فلاح تشقى لتسعدا

هذا هو شاعر البرارى وشعره في الفلاح ، وهذا هو احساسه به ، وحديثه عنه ، ووقفاته معه ، ان لم تكن تحت عنوان الفلاح فهي عن الفلاح ، وما كان يمكن ان نطلب الى شاعر ان يجعل كل قصائده ومقطعاته تحت هذا العنوان ، وما يكون لنا أن نطلب الى شاعر ان يدلنا على كل عناصر قصيدة من عنوانه ، وما ينبغى لمن يتصدى لدراسة الفلاح في شعرنا العربي ان يمر على عناوين القصائد ـ عند شاعر ريفي ـ مرا عابرا ثم يصدر حكما قاسيا .

ويتابع شاعر البرارى في ديوانه بين أحضان الطبيعة عيشه مع الفلاح فيقول تحت عنوان « الهدهد » ، بعد تقديم للقصيدة بالآيات القرآنية الكريمة التى يقص الله سبحانه وتعالى فيها نبأ سليمان عليه السلام مع الهدهد :

خدمت سليمان في ملكه
وبلغته نبأ عن « سبا »

وقلت : احطت بما لم تحط
به ، واجترات امام الملا

وحملت منه كتابا كريما
فأكدت بالخبر المبتدا

فيمم « اولى الامر » منا وقل
معى نبأ يا له من نبا

« حسام العقول » ولا تشعرون
« به ، قد تمكن منه الصدا

وأي حسام كفلاح مصر
اذا ما انتهى من جهاد بدا

يغذي الورى ويقاسى الطوى
ويروى الثرى ويعانى الظما

وامراضه فوق هذا وذاك
تناهبه كمباح الكلا

ورث الجديدان من حوله
ولم يلق بينهما ملتجا

فياليت شعرى متى يعتنى
به ، ويقضى له ما انطفا

هذا هو الشعر الصريح الواضح في الفلاح وعن الفلاح عند شاعر البرارى ، فهل تراه لا يصدق فيه قول الكاتب في ص ٥٧ من كتابه « ان لفتة واحدة من شاعر اتصل بالريف اتصالا عابرا او دائما ، الى ذلك الفلاح الصابر الكادح ، قد يكون فيها من جميل المشاركة ، ورقيق العاطفة ما هو خليق بمثل ذلك الانسان المسكين .. » وهل تراه عدل في القسمة بين الاحساس بالارض والاحساس بمن على الارض ، وهل تراه قد استكمل الصورة الشعرية للريف بعد ان مزج الحديث عن الفلاح بالحديث عن القطن والمحرات والساقية ـ كما يريد الكاتب ـ ام تراه بعد لم يف ..

على اية حال لم يقف الشاعر مع فلاحنا عند هذا الحد ، بل تابع الحديث عنه والعيش معه بطريقته الفذة الجريئة فيقول في قصيدة بعنوان «الربيع» :

سل يا ربيع على فلاح مصر أسى
فشيئه لم يزل في مصر مبخوسا

ما باله يلبس الدنيا سعادتها
ويكتفي هو بالحرمان ملبوسا

ويقول في قصيدة اخرى بعنوان « الربيع » ايضا :

قف يا ربيع على البرارى وقفة
مشكورة الاصباح والامساء

وانظر ضياع الترفين وقل لها
كم من ضياع فيك للفقراء

وتحت نفس العنوان السابق يقول الشاعر :

اهتف « لفلاح البرا
رى يا ربيع على جداره

ودع القصور القائمات
على « القصور » وهى داره

ويعاود الشاعر حديثه عن وفاء النيل فلا ينسى الفلاح وانما يقول :

رنا فرأى بؤس فلاحها
يزيد فقطب ثم اضطرب

وأبيات ثلاثة بعد ذلك عن « لوز القطن » هذه هي :

أهل تبسم ام ضياء لاحا
ام لوز قطن ضاحك الفلاحا

ما أصبر الفلاح في الدنيا وما
أمضاه في ثوب الكفاف كفاحا

ما زال يسترضى دجنة قطنه
حتى استحالت في يديه صباحا

حتى مع القمر وحديثه اليه لاينسى شاعرنا الفلاح ان يقدم الفلاح حيث يقول :

يا مترفا لتفانى الشهب فيـه غوى
لعطفه ، والهوى يأتى على سبب
اسكب شعاعك فى الريف الطريف وقل
يامترفى الريف من منكم تشبه بى
انتم قساة على اهل القرى وانا
والحمد لله ، ذو عطف على الشهب
كونوا غصونا يقن الدهر فوقكمو
فالدهر كالطير لا يشدو على الخشب

ويناجى شاعرنا طائر « البلشون » فيقول :

ســموك مالــكا الحــز
ين ولسـت بالطير الحزين
لـكن رزئت فـاطلقـوا
لفظ الحـزين عـلى الرزين
احـزن وحـزنك فى البـرا
رى لا يشـينك بـل يزين
احـزن للهـو المتـرفـ
ـين بهـا وجوع المعـوزين

اما مقطعة الصفصافة فما استغرق فيهـا الشاعر واصفـا للطبيعة ومجاليها وانما كان سهما ينفذ الى قلب الداء اذ يقول :

لا النحـل يسعى اليها يبتغى عسلا
ولا الطيور عليهـا تبتنى أمـلا
علت ، ولم يعلها زهر ولا ثمر
لذاك قد اطرقت بين الورى خجلا
تقول : لو كان لى شئ لجـدت به
لبتغيـه ، ولا ابغى به بـدلا
خزيت من ان اغصانى علت عبثـا
يا ليت ما قد علا من اغصنى سفلا
صفصافة النيـل لا تخزى ولا تهنى
ما الخزى الا لمثر بيننـا بخـلا
اولى باطراقك النـاسون امتهـم
والاغنيـاء الأُلى لم يعملوا عملا

وهكذا كان شعر شاعر البرارى فى بعض شعره عن الفلاح ، حبا صادقا ، وقلبا حانيا ، واسى مخلصا ، وان يكن لى ان اختار له لقبا غير الذى ارتضاه لنفسه لكان اللقب على جدارة « شاعر الفلاح » .

وانا اخيرا اذ اضع بين يدى الكاتب هذه الابيات عن الفلاح انما اضع بين يديه جزءا من كل منشور فيما صدر له من اشعار ملتمسا له بعض عذر فى عدم انصافه لشاعر البرارى بما جاء فى مقدمة كتابه حيث قال : « وقد حاولت ـ كعهدى دائما فيمـا اكتبه ـ ان اكون منصفا مع كل من اكتب عنهم ، واتنـاول آثارهم ، فاذا فاتنى من الاستشهاد شئ من شعر او قصص او دراسة ، فعذرى ان الموضوع واسع ، وان المجال ضيق ، وان الاحاطة غير ممكنة ، وان النية ـ من وراء ذلك ـ حسنة » .

محمد عبد العزيز حسن

# في ليلة عيد

للشاعر : إدوار حنا سعد

حبـك حب برى، ... كحب طفـل لطفله
طغى وكان رفيقـا ... ومد فى العمـر ظله
اسائل النفس عنه ... والنفس تجهل اصله
أكان توأم جسمى ... ام كان والروح قبله ؟
عييت بالحب داء ... وضقت بالوجـد عله
كتمت عنـك ودادى ... حينا وقصرت حبله
الا حديثـا رفيقـا ... يحكى صباك ونبله
وغـير ضـغطة كف ... كأنهـا مس قبله
ما صـدنى عنك الا ... قلب تعـودت بذله
حتى تدنس عشـقا ... فى عالم .. ما اضله
رأى الحـرام حراما ... لكن غوى .. فاحله
والحب جسـمٌ ولكن ... بالروح نعرف سبله
وفيك معـنى برى ... اكرهتنى أن اجله
وان اغض جفـونى ... واكتم الشوق .. ضله
فان للحسن حكمـا ... وللصـبابة .. صوله
الآن ألقى سـلاحى ... واصدق الحب اهله
اريك جـرح فـؤادى ... جرحـا صريح الأدله
جرحا جـديدا قديمـا ... ابعدت فى القلب نصله
اجد فى العقـل نـورا ... وزاد فى الصدر شعله
يا ليـلة العيـد ردى ... عنى شجاك وشـغله
دقت نواقيس قـومى ... وأرسل العيـد رسله
فى كل خفقـة قـلب ... وكل ومضـة مقـله
الا فـؤادا .. معـنى ... جفـا الزحـام وملـه
وبات نسـج دجـاه ... شجو وشوق وعـزله
لعـله حين يـدعـو ... يلقى مجيبا .. لعـله
فقد جهلت جـواه ... لـمـا عرفت .. أقله

# الموت .. واحترام الحقيقة

بقلم: عباس الأسوانى

لا شك ان الكثيرين قد تابعوا هذا اللون الذى وجهه الاستاذ **نعمان عاشور** الى طائفة من الكتاب منهم الاستاذ **كمال النجمى** ـ لأنهم كتبوا عن الشاعر العظيم **بيرم التونسى** منددين بموقفه من الملكية عقب عودته من المنفى ..

ولا شك ايضا أن الحق فى جانب الاستاذ **نعمان عاشور** لأن بيرم التونسى الذى هاجم الملكية فى سلطانها ودفع ثمنا لهذا الهجوم عشرين عاما فى المنفى لا يجوز أن يحاسب على دفع ثمن اوبته وبقائه فى مصر الا بالقدر الذى يحاسب به البطل عندما تضطره الظروف الى مداراة اعدائه .. وقد تحالف السن والمرض والغربة وتنكر الاخوان على بيرم التونسى فاضطر الى هذه المداراة اضطرارا .. ولكنه بادر بعد قيام الثورة الى اعلان توبته وبراءته من كل كلمة صاغها فى مدح الملكية ..

وهذا الاعلان الذى تم عن طريق الاذاعة المصرية يجعلنا جميعا مرغمين على تناسى هذا الموقف اذ أن بيرم باعلانه هذا ـ مع انه لم يكن هناك ما يضطره اليه ـ والذى تخلف عنه جميع من مدحوا الملكية بلا استثناء ـ هذا الاعلان هو التأكيد الحقيقى لسلامة روح بيرم الوطنية .. والدليل على أن ما قاله بعد عودته من المنفى مدحا فى فاروق لم يكن الا من قبيل المداراة ودفع الضرر لا اكثر ولا اقل .. وان كلمة واحدة من هذا المدح لم تكن صادرة عن رضا او اقتناع ..

هذا هو رأينا فى موقف بيرم التونسى من الملكية وقد نشرناه من قبل ، ولكننا مع ذلك نخالف الاستاذ نعمان عاشور فى موقفه من الاستاذ كمال النجمى .. فلم يكن هذا الموقف سليما حتى اذا تغاضينا عن العبارات القاسية غير العادلة التى استخدمها نعمان على غير المألوف فى كتاباته وفى حياته ..

صحيح ان الازدراء العميق هو اهون نصيب يستحقه الكتاب والشعراء الذين يهاجمون بيرم التونسى فى عهد الثورة مع انهم عاشوا خداما وابواقا للملكية .. ولكن امثال الاستاذ كمال النجمى الذين لا نعرف لهم ماضيا ملكيا ملونا ـ من حقهم علينا جميعا ان نسمع الى رأيهم فى سماحة .. وان نتقبل هذا الرأى فى رفق .. مهما كان قاسيا أو خاطئا .. ذلك ان طهارة القلم تشفع له فى الخطأ .. واخلاص صاحبه يهون من قسوته ..

والحقيقة المجردة تقول ان النظرة المنصفة لموقف بيرم التونسى من الملكية يجب أن تكون نظرة انسانية وليست نظرة مثالية .. واذا كان كمال النجمى قد اخطأ فى شىء .. فانما سبب هذا الخطأ انه طلب من بيرم مالا يستطيع .. بل مالا يستطيعه كثيرون . ان النجمى يرجو أن يكون البطل مثاليا لا يدارى اعداءه حتى ولو اذاقوه اهوالا جساما كتلك التى تجرعها بيرم فى المنفى عشرين عاما .. ومن المصلحة العامة أن يكون بيننا من لا يرضى الا عن الكمال وحده ومن يذكرنا دائما بالمثالية المطلقة رجاء أن تنفع التذكرة فى خلق ابطال مثاليين . صحيح أن هذا النوع من الأبطال نادر ولكنه ليس مستحيلا .. والالحاح فى المطالبة به لا يمكن الا ان يؤدى فى النهاية الى ظهوره .. وفى تاريخنا السياسى والادبى افراد قلائل .. حققوا مثالية البطولة كما نعرف جميعا ..

واذن فلم يخطىء النجمى الخطأ الذى يستوجب القسوة عليه وان كان ثمة عتاب يوجه اليه فهو

اســلوبه الذى ادان به موقف بيرم اذ كان من الاليق ان يكون اقل حرارة .. وتجريحا .. لأن هذا الموقف كما قلنا يراه معظم الناس - ونحن منهم - موقفا جديرا بالعذر لا باللوم .. وبالتناسى لا بالتركيز عليه .. على ان هذا الموقف بين الزميلين نعمان عاشور وكمال النجمى يجرنا الى مناقشة حقيقة اخرى هامة .. هى موقفنا بصفة عامة من شخصياتنا السياسية والأدبية بعد وفاتها .. فالملاحظ ان عاطفتنا نحن العرب نحو الموتى من ادبائنا وزعمائنا جديرة بأن تنقى من شوائب بعض المفهومات التى تقف حائلا دون تقبل اى حقيقة ماسة بتاريخ هؤلاء الموتى .. بل ان بعضنا يغالى تحت تأثير هذه العاطفة فيضيف الى رصيد المتوفى فضائل ليس له منها نصيب ..

وتكون هذه المغالاة اوضح ما تكون عقب وفاة الاديب او الزعيم مباشرة اذ لا يكتب النعاة رثاء فحسب وانما يشتركون فى مزايدة يدلى كل منهم فيها بدلوه لتسجيل واضافة امجاد ومآثر ادبية وسياسية للمتوفى قد لا يكون له نصيب منها كلها او بعضها .. واذا كان الحديث الشريف يقول « **اذكروا محاسن موتاكم** » فاعتقادنا ان مفهومه الصحيح هو ذكر هذه المحاسن اذا وجدت لا خلقها واضافتها الى حساب المتوفى : والا اختلط الاشرار بالاخيار وتاه الأصلاء فى الامعات .

لقد اصبح من المألوف المستنكر فى حياتنا ان يموت الرجل فى هذه الامة . وتكون حقيقته معروفة ومواقفه مشهورة .. واخطاؤه معلومة .. ومع ذلك فانت لا تقرأ الا ذكرا تردد فيه آيات المدح وعبارات التقدير وتخلع فيه صفات العبقرية والريادة والوطنية دون اى احتياط .

وخطر هذا « الرثاء » الجزافى انه يقف متراكما كالسد يحول دون وصول الحقيقة الى الكثيرين او على الاقل يشكك فيها بالنسبة للجاهلين بأمر المتوفى الذين لم يتابعوا حياته ولم يعرفوا عثراته .. اما بالنسبة لعارفى المتوفى فقد يؤدى هذا الذكر الجماعى الى دفعهم وتشجيعهم على ارتياد نفس الطريق الذى سلكه الفقيد .. مؤمنين بأن عثراته مغفورة ولا محيد عنها ولا تأثير لها فى مكانة مقترفها ..

فلنعود الانصاف ونلتزم فى « الرثاء » حدوده التى تفرضها الانسانية التى تودع فردا منها دون ان تجور على الحقيقة .. لان الحقيقة اعز علينا من اى كائن خاصة اذا اتصلت بجهادنا الادبى والسياسى لأنها تتصل عندئذ بمصائر الفكر والحياة جميعا ..

على ان الحقيقة التى تسىء الى المتوفى يحتاج الافصاح عنها الى أمرين ليتقبلها الناس قبولا حسنا مثمرا . انها تحتاج الى **اخلاص وذوق** .. اما الذوق فيلزم الكاتب بعدم نشر هذه الحقيقة فى اعقاب الوفاة مباشرة .. لما فى هذا النشر من تهجم على جلال الموت الذى يجب أن تقف عنده النفوس خاشعة . ولأن هذا الجلال لا يدع فى القلوب أو الآذان موضعا لسماع اى نقد لنفس صعدت الى بارئها . ولكننا نرى أن الخضوع لهذا الذوق رهين بالتزام النعاة حدود الرثاء وعدم تشويههم للحقيقة .. لأن الحقيقة اعز واغلى واجدر بالاتباع من قواعد الذوق .

**واما الامر الثانى** الذى يتطلب فى الافصاح عن الحقائق المسيئة الى المتوفى فهو ان يكون المفصح مخلصا .. لا شامتا ولا حاقدا .. ذلك ان الاخلاص وحده فى هذه الحالة هو المفتاح الى قلوب الناس .

وقد توفى بيرم التونسى من سنوات .. وانقشعت رهبة الموت الذى ادركه .. وانفسح المجال للكلام فى تراثه ومواقفه . ولم يعد هناك ما يحول دون تناوله بالنقد الا أن يكون الناقد مغرضا ملوثا .

فمواقف بيرم التونسى من الملكية حقيقة .. لا يعيب الاستاذ النجمى ان يعلنها وان فاته حظ تفهم اسبابها والغوص لمعرفة أعذارها .

هذا فيما يتعلق بموقف بيرم السياسى .. اما مكانته الشعرية وروحه المبصرة .. وعبقريته الوقادة .. فاحسب أن الذين يجادلون فيهما انما يجادلون عن جهل وحرمان من نعمة تذوق الفن .. وانا اعيذ الأستاذ كمال النجمى أن يكون جاهلا محروما !!

**عباس الاسوانى**

# صموئيل بيكيت
## داعية للصهيونية

بقلم : حسين مهدي الغنام

### الاهداف الخفية :

من الشائع المعروف ان بروتوكولات الصهاينة تنص على ان مخلصا جديدا أو مسيحا جديدا سيأتي فى هيئة ملك من نسل داود يخلصهم من تشردهم ويجعلهم حكاما على العالم أجمع .

وهذا ما رمز اليه بيكيت تماما . فان استراجون وفلاديمير فى مسرحية جودو متشردان ينتظران عودة جودو الذى سوف يخلصهما . وكلمة جودو ما هى الا تصغير أو مسخ لكلمة جود .... أى الله . كما سنرى فيما بعد .

وتحتم هذه البروتوكولات على اليهودى ان يتلون بكل لون ، ويعتنق أى دين ، ويتجنس بأى جنس اذا كان فى ذلك مصلحته ، كما فعل بيكيت نفسه فتجنس بالفرنسية وأخذ يؤلف بلغة الفرنسيين ، وان كان اليهود يدعون بأنهم لا يقبلون أحدا من غير دينهم يدخل فى ملتهم ، كما أنهم لا يقبلون المروق عن دينهم والدخول فى غيره . ولكن التاريخ يكذب ادعاءهم ، كما تكذبه بروتوكولاتهم السرية . فاذا كان فى مروقهم عن دينهم ودخولهم فى دين آخر نفع لهم ، لم يترددوا فى فعل ذلك ، كما تنص تعاليمهم السرية .

وقد تحدث الاستاذ **عبد الله عنان** فى أكثر من موضع بكتابه نهاية الاندلس ، عن اليهود المتنصرين وراء نفع ذاتي لهم ، فقال : « وكانت موجة من التعصب تضطرم فى هذا الوقت بالذات ، حول طوائف المتنصرين من اليهود Conversos ، وكان أولئك المحدثون فى النصرانية قد سما شأنهم ووصل كثير منهم الى المناصب الكنسية الكبيرة ، والى مجلس الملك ، وتبوأوا بأموالهم ونفوذهم مكانة قوية فى الدولة والمجتمع ، وكان أحبار الكنيسة ينظرون اليهم بعين الريب ، ويعتبرونهم شرا من اليهود الخلص أنفسهم ، ويتهمونهم بالالحاد والزيغ ، ومزاولة شعائرهم القديمة سرا . ولما تفاقم الاتهام من حولهم صدر فى سنة ١٤٦٥ فى عهد الملك هنرى الرابع ملك قشتالة أمر ملكي الى الاساقفة ، بالاستقصاء والبحث فى دوائرهم ، وتتبع هذا اللون من المروق والزيغ ومعاقبة المارقين ، وتلت ذلك موجة من الاضطهاد اتخذت صورة المحاكمات الدينية ، وأحرق عدد من أولئك المتنصرين » .

ويقول فى موضع آخر : « وكان اليهود الذين تمتعوا عصورا بالحرية والامن ، فى ظل الحكم الاسلامى ، أول ضحايا سياسة الارهاق والمحو التى رسمتها أسبانيا الجديدة . ذلك انهم ما كادوا ينتقلون الى الحكم الجديد ، حتى شهرت عليهم السياسة الاسبانية حربها الصليبية ، وامروا باعتناق النصرانية ، وفرض النفى والمصادرة عقوبة للمخالفين ، فأذعن كثير منهم اشفاقا على الوطن

والمال ، وهلك كثير منهم فى سجون الديوان المقدس ومحـــارقه ، أو شردوا فى مختلف الاقطـار بعد التجريد والحرمان ، بل لم ينج المتنصرون منهم من المطاردة والارهاق لأقل الشبه حسبما قدمنا ، ٠

هذه هى حقيقة اليهود فى التاريخ ٠٠ غش وخداع وجرى وراء المنفعـــة الذاتية وتشريد وحرمان جزاء خداعهم وخبث طواياهم وكراهيتهم المتأصلة لغيرهم من الشعوب وأصحاب الملل والاديان الاخرى ٠

ومن أخطر دعواتهم كذلك الدعوة الخفية الخبيثة الى تشويه الاديان والثقافات العالمية ٠

ومن امثلة ذلك ما عمد اليه قديما كعب الاحبار وعبد الله بن سبأ وغيرهما اللذين أساءا كثيرا الى عقائد المسلمين ، كما أساء من قبلهما كثيرون من احبـــارهم الى المسيحية ، وما زالوا يســـيئون الى المسيحية والاسلام كل اساءة ٠

أما من ناحية الثقافة والعلم والمذاهب الفكرية ، فقد خلقوا المذاهب الملحدة والمتطرفة الهدامة وعملوا على بثها بين الشعوب جميعا ٠

فالشيوعية المطلقـة والدكتاتورية والوجودية من جوانبها القذرة والشعوبية والغريزة الجنسية وأخيرا مسرح العبث، كلها من بنات أفكار اليهود الصهاينة٠

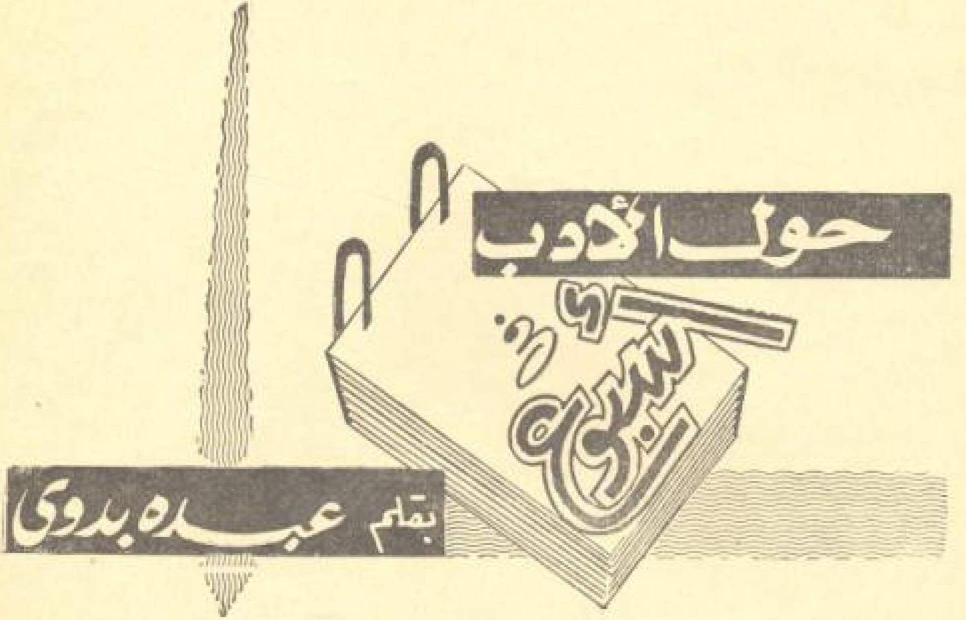
وهم يعملون دائما على بلبلة الافكار ، وانحـلال الاخلاق ، كما نص فى بروتوكولهم الثانى ، الذى يدعون الى اغراء الشـــعوب الأخرى من غير اليهود على الانغماس فى الملذات الدنيا وفى أحلامهم المادية المريضة وتحريضهم على حياة اللهو والمرح والمجون ، وذلك بالنســـاء اليهـــوديات . وديانتهم تبيح زنا اليهودية بغير اليهـــودى ٠ وهم يزرعون الحشيش والافيـــون وينتجون الخمور ويعملون على تصديرها للشعوب الاخرى ٠

وكما يعملون على تربية عقول غير اليهود وتوجيهها الوجهة التى يريدونها لهم ، متخذين فى ذلك جميع الاساليب ومن نشر كتب شعبية رخيصة الى التسلط على الصحافة وتوجيه العلوم وتفسير التاريخ والاديان حسب أهوائهم الخبيثة ٠

وحقد الصهيـــونية على الاديان الســـماوية حقد لا يساويه شيء فى ضراوته ، وخاصة على المسيحية٠ والصهاينة لا يتركون فرصة ينالون فيها من المسيح وقداسته الا استغلوها ٠

ومن الأسرار الخفية ما ترتكبه الماسونية العالمية ، وخاصة فى درجتها الثـامنة عشرة ، ورمزها الذى ترمز به الى المسيح والرومان يصوبون الحربة الى قلبه ، والهاتف منهم يصيح بكلمة فظة فظيعة ، فى تشف وقح قذر ، وهم يهدفون بهذا الى أن ينالوا من الدينين الســماويين معا : الاســلام والمسيحية فى آن واحد !

**« حسين مهدى الغنام »**




## قميص عثمان

من فترة كبيرة كان المواطن العربى يحس ان فى قلبه جرحين ، وقد اندمل جرح الجزائر وبقى جرح فلسطين ، وأى انسان يؤرخ للجرح الاول لابد أن يضىء الدم وجهه ، ولا بد أن يحس أن الكلمة كانت بجوار الرصاصة ، وان الدوى الذى كان يحدث كان يعتمد على تفجير الحروف وضراوة الطلقات معا ٠٠ ومع أن هذه الطاقة الغاضبة كان يمكن أن توجه بحيث تأخذ مكانها على الارض المغتصبة ، الا أن الذى لاشك فيه ان أكثر هذه الطاقات قد تحول الى السام، واستحلاب الحس ، واجترار الكلمات ذات الوجوه القديمة ، والدوى الزائف ٠

صحيح أنه ما زالت توجد بعض الارجل التى تخوض فى الحميم والافكار التى تصطدم بالاجرام ، والنفوس التى تتعذب لأنها تنام فى كل مساء على الغضب ، والندم ، والذكريات ، ولكن هذه النفوس كانت تصطدم احيانا بأن هناك من يتجاهلون الجرح ، ومن يساومون الكلمات المبللة بالدموع ،ومن هنا نراها تعمد هى الاخرى الى هدهدة القلق على العودة ، او الى العزلة الباردة الممزقة ، لأنه لايوجد من يضيف حرارة كلمته الى حرقة ما يملكون من كلمات ، أو على تجريد الحزن وفصله تماما عن حرارة المعركة ، ومرارة الواقع ٠٠ ومن هنا تأتى الخطورة على « فلسطين الكلمة » قبل « فلسطين الواقع الجغرافى » ، انى لا اريد أن أوسع الهوة فأذكر أن بعض المثقفين فى فترة ما قد لووا وجوههم عن هذه القضية ، وطبقوا عليها بعض المفاهيم الايديولوجية ، ولا أريد أن أدفع بهم دفعا الى غمار هذه القضية، ولكنى أذكرهم فقط بالغليان السياسى الذى يدور فى المنطقة حول هذه القضية ، وأن هذا الغليان يجب أن يكون فيه للفيلم وللمسرحية وللقصيدة وللقصة وللوحة والأغنية نصيب كبير ، لقد ذكر البعض أن هذه القضية ماتت فى نفوس الأدباء ، وتوهجت الى حد الحريق فى نفوس الزعماء ، وهذا قول فيه كثير من الصدق ، وبقى أن نسائل أنفسنا : لماذا تخلفت الكلمة عن أن تأخذ مكانها فى هذا الموقع ؟ وهل هذه القضية التى تنزف دما هى قضية أبناء فلسطين وحدهم أم قضية الانسان العربى فى كل مكان فى المنطقة ؟

لقد كان لفلسطين مكان صغير في مهرجان المنصورة ، ولكننا نريد ان يكون لها مكان في كل قلم وفي كل نفس ، **فقهيمي عثمان** ما زال يقطر بالدم على رءوسنا ، ولكننا مشغولون عنه بالجدل العقيم ، وبالكلمات المجوفة ، والتيارات المدمرة ٠٠ ترى لو كنا متعاطفين مع تاريخنا ، ومع الدم الساخن الذى يسيل من جزء منا ، ومع العيون البريئة التى تهرب من نظراتها كنا قد وصلنا الى هذا الجفاف فى الحقل الادبى ؟

اننا نريد هذاالأدب الذى يمتلىء بالحرارةوالتوتر والثأر ورفع السيف عن حياة الانسان العربى ، بحيث يحس الانسان وهو يقرؤه أنه يعيش فى خطر ، وأنه لا بد أن يتحرك وأن يصطدم ، وان يفعل شيئا ٠٠ ومن خلال هذا « **الحريق الادبى** » يستطيع أن يذوب الكثير من متناقضاته ، ويستطيع أن يجد حلا لهذه القضايا اليابسة التى جف فيها البريق مثل الفصحى والعامية ، والشعر المتجدد والتفعيلة ، والمحلية والعالمية ، ذلك لأنه سيكون هناك ميزان واحد هو « الجودة » فى العمل الأدبى ، وفى الوقت نفسه سيختفى عدد من الوجوه الخشبية التى يقوم مجدها على تحريك النار تحت هذه الأشكال !

ان على كل أديب الآن أن يلتزم بهذه « القضية » وأن يغمس قلمه فى دمها ، وأن يتحرك بها فى كل اتجاه ، قبل أن ينزل السلاح الى المعركة ، فالسلاح الآن يتحول الى أكثر من موقع ، ويبقى على الأقلام كذلك أن تتحول الى أكثر من موقع ٠

## تحول الصليب إلى شجرة

تلقيت هذه الرسالة الخصبة من شاعر فلسطين فى اللقب معين بسيسو ، وهو أحد الذين ينمون يوما بعد يوم بعيدا عن « الشلل » والعصبيات والزعامات فى الحقل الأدبى ، لأنه يعرف قضيته ، ويحسن تماما الاصغاء الى قلب وطنه فى الاطار الفنى ، ولأنه أخيرا من أنقى الأصوات التى تتحدث بالشعر فى المنطقة العربية ، والتى تضيف فى كل يوم شيئا جديدا وخصبا ٠

لقد تلقيت منه هذه الرسالة ، وحاولت أن أقنع نفسى أنها شخصية ، وأنها لا تمس قلب القارىء ، ولكنى وجدتنى أضعف أمام القضايا التى أثيرت فيها ومن هنا رأيت أن أقدمها كهدية من الشاعر الى القارىء ٠

« أخى الاستاذ عبده بدوى

تحيات من القلب وبعد ٠

قرأت دراستك فى «الرسالة» التى حاولت فيها جاهدا ، أن تجمع من هذا المغزل أو ذاك ، خيوط تلك الانعطافة النبيلة نحو دراسات جادة عن ادب المذبحة ، متخطيا بذلك تلك الدوائر التى دأب بعض النقاد فى بلادنا على الطواف حولها بمن وقع عليهم الاختيار من الشعراء ٠

وبالفعل ، أصبح هنالك بعض الانعطافات فى هذه المسيرة ،وبالذات نحو أدب وفن شعبناالمشرد :ولأول مرة يقوم الذين يرسون التقاليد الشريفة للكلمة العربية بدور فى هذا الاتجاه انفسح او ضاق ٠٠ ، فالذى يهمنى هنا ، أن تكون هنالك ولو محاولات لاقتفاء آثار الدم ، والامساك بخيط الدم ٠٠ وأعتقد ان دراستك كانت فىهذا الاتجاه.. بعيدا عن«تماثيل الثلج » التى كثرت هذه الايام فى الميادين والساحات، بفعل بعض النقاد ، الذين أخذوا يتخلون عن كل شىء ٠٠ عن النار وعن الدخان والرماد ايضا ٠

لقد أصبحت بصمات فلسطين الدموية ٠٠ على كل رغيف وكأس فى وطننا العربى ، وعلى كل قصيدة ايضا ٠٠ والذى أريد أن أقوله فى هذا الاتجاه ــ وماأكثر ماصار يكتب عن فلسطين من القصائد ــ ان بداية الدم مفتوحة للجميع ، ولكننا لا نريد فى الوقت نفسه أن يتحول الدم الى سلعة ، وأعتقد أنك توافقنى على هذا ، لا نريد أن نمدد فلسطين أبدا فوق تابوت من الثلج ٠٠ ، وفى هذا الاتجاه ، كم أتمنى لو دق أبواب معسكرات المشردين ٠ أولئك الذين يكتبون ، ولماذا أصلا يدقون الأبواب ، فالجريمة لم تترك بابا ولا نافذة ٠٠ ، والجدران نفسها من الهواء وأحيانا من المطر ٠

لقد أسعدنى كثيرا ، كما أسعد الكثير من الأصدقاء هنا ، ما كتبته ، والذى أثارنى بالفعل ، الاثارة النبيلة الشجاعة ، هو انك تدأب فى الكثير من كتاباتك ، على التلويح براية الشعر الفلسطينى ، والشعراء الفلسطينيين ، وصدقنى أن أبناء المحن هؤلاء ٠٠ وأطفال المذابح ، يستحقون المزيد ، لا من جهود علماء الآثار ٠٠٠ وطبقات أرض النكبة ٠٠٠

بل من جهود فنانين وشعراء .. وفي الاتجاه ... الذي سرت فيه مشكورا من اعماق القلب مرة ومرتين .

وهل تسمح لى بها اخيرا بهذه الملاحظات اسوقها لا تفنيدا لما كتبت ، ولا تصويبا ، فكما قلت لك فى البدء ، لقد بذلت جهدك في جمع الخيوط من المغازل ... وماكتبته كان هو الانطباع الذى ترسب ، ولك كل الحق فى هذا .

**واول هذه الملاحظات** عن الذى اتصل بالاسلام ، ومرة ثانية ، لا أريد أبدا ، تصويب ما كتبت ، بقدر ما أريد أن أوضح وأركز على هذه الملاحظة ... والذى لفت نظرى حقا أنك فى الوقت الذى كتبت فيه هذا ، كنت قد انتهيت بالفعل من ديواني الجديد « الأشجار تموت وهي واقفة » وكراسة كاملة منه عن فكرنا الاسلامى الثورى .. أغنيات الى أبى ذر ، عمار بن ياسر ، عبد الله بن المقفع ... وحتى مقامة شعرية الى بديع الزمان .. الخ .

كنت احس دائما ... انه لا بد من الانعطاف نحو هذه الينابيع ، وآن الأوان ، أن يتحول الصليب الى شجرة ... أن ننظر اليه كشجرة فى غابة .. وآن الأوان أيضا ، لكى نكف عن قطع الاشجار ونحت الصلبان منها .. لنترك الأشجار تثمر وتورق .. ، ولنبحث عن رموز جديدة ... وفى اتصالات مقبلة، سارسل لك هذه الكراسة ... فى هذا الاتجاه .

**والملاحظة الثانية** هى ـ ما تخيلته ـ ولك كل الحق فى هذا من ادانة المعسكرين ، ولكننى بالفعل شانى ، شأن المشردين من أبناء وطني ، نشعر بالفعل ، بالعرفان بالجميل والوفاء للأصدقاء فى المعسكر الشرقي ، للمواقف النبيلة الشجاعة ، من قضيتنا ، وأحمد الشقيرى ، قد عبر بلسان شعبنا كله عن هذا ، وانا لا اقول هذا والرباط على عينى ، بل اقوله مؤمنا أكثر مايكون الايمان تفتحا لا عمى ، وحركة لا شللا ... اقوله فى اتجاه ، أن رايتى التى تخفق فوق راسى ، وسلاحى الذى فى يدى ، لكنه فى اتجاه .. وطنى المحتل ... ، فالذين لا يملكون بيتهم ، عليهم الا يختلفو على لون الأثاث ... أبدا ، وكل فلسطينى الآن ... ينصهر فى البوتقة الواحدة للتحرير .. على الأقل هذا هو الموقف الايديولوجى الآن ... وفى مسيرة العمل .. تتحدد كل الملامح .. وفى الوقت الذى تكن فيه الحب للاصدقاء .. لاتوجد فى دمائنا قطرة واحدة ،ليس لها حنجرة تصرخ حقدا على القتلة ، فى ذلك المعسكر الغربى الأسود ... صانع ماساتنا ... ومفجر طاقاتنا فى الوقت نفسه ، الطاقات التى ولدتها الهزيمة .. والمذبحة ... والمؤامرة .. والتى تدفع بها الآن للخنادق .

أخى الحبيب ...

اسمح لى ان أكتب لك هذا ، اكتب لك هاتين الكلمتين ... واقول : اصبحنا فى عصر عربى جديد يجب ان نقول كلمتنا فيه بكل شجاعة .. والذى لا يريد أن يقول هذه الكلمة ... عليه أن يأكل لسانه .. نعم يأكله ... وما أكثر الذين سيأكلون السنتهم ... ، ولكنه فى كل الظروف سيظل ما كتبته عن « شاعر من فلسطين » تذكارا من الدم احمله عبر المسيرة الكبرى ، احمله وأنا أعتز بك ... أخا فى الدم والسلاح .. أخا فى الكلمة التى تقع علينا مسئولية تعليقها ... فى سارية هذا العصر الذى تعيش فيه .. وتصنعه ... كما يصنعنا .

ولك كل حبى واعزازى .

## الفكر العربى فى الخرطوم

ومن السودان الحبيب تلقيت رسالة تؤكد الدور الكبير الذى يقوم به « مكتب الفكر العربى » بالخرطوم ، واذا كنا قد رحبنا به وليدا على صفحات هذه المجلة ، فانا نرحب به اليوم شابا يحرك الحياة الفكرية فى السودان ، ويحاول جاهدا ربطها بالحياة الفكرية فى العالم العربى ، ويسعدنى أن أقدم هذا الجانب من نشاطه .

يسر مكتب الفكر العربى بالخرطوم أن يعلن ان عيده الأول سيكون فى اليوم العاشر من شهر فبراير عام ١٩٦٦ ، وهو ينتهز هذه المناسبة فيمد يده الى رجال الفكر والأدب فى السودان بصفة خاصة والوطن العربى الكبير بصفة عامة راجيا منهم الاسهام معه فى اخراج هذا العيد بالصورة التى تليق باهداف المكتب وغاياته . وما هو ثبت بالبحوث والدراسات النقدية والموضوعات الشعرية ،التى يرجو المكتب مخلصا من رجال الفكر والأدب أن يتناولوها بالبحث والدرس

لتصل الى هذا المكتب فى موعد أقصاه اليوم الثلاثون من شهر سبتمبر عام ١٩٦٥ ٠

ويود المكتب أن ينبه مقدما الى ان نجاح هذا العيد يتوقف على المشاركة الفعالة من مفكرينا وأدبائنا وشعرائنا ، وأملنا كبير فى أن تصل الى هذا المكتب بحوثهم ودراساتهم النقدية وأشعارهم فى الموعد السالف ذكره بالعنوان الآتى : ـ ص ـ ب ـ ٢٠٧١ ـ الخرطوم ٠

**اولا : ـ البحوث ٠**

١ ـ الفكر العربى وأثره فى الحضارة الانسانية٠

٢ ـ رجال حملوا لواء الفكر العربى فى السودان ٠

٣ ـ التصوير الفنى فى شعر العباسى ٠

٤ ـ دور الترجمة فى اثراء الثقافة العربية ٠

٥ ـ الخيال والصورة فى الشعر الجاهلى « دراسة مقارنة بالشعر الشعبى السودانى » ٠

٦ ـ التصوف فى الشعر العربى ٠

٧ ـ الوجه العربى فى السودان ٠

٨ ـ الثقافة العربية وأثرها فى تحرير السودان٠

**ثانيا : ـ الدراسات النقدية ٠**

١ ـ كتاب تاريخ الثقافة العربية فى السودان
« للدكتور عبد المجيد عابدين »

٢ ـ كتاب ملامح من المجتمع السودانى
« للأستاذ حسن نجيلة »

٣ ـ كتاب أدبيات السودان
« للأستاذ منير صالح عبد القادر » ٠

٤ ـ كتاب محاولات فى النقد
« للأستاذ محمد محمد على » ٠

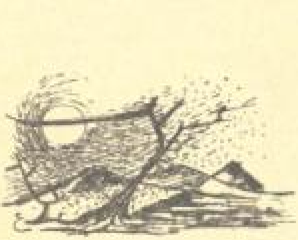
٥ ـ ديوان الطبيعة
« للشاعر حمزة الملك طمبل » ٠

**ثالثا : ـ الشعر ٠**

١ ـ بطولات سودانية ٢ ـ غدنا المرتجى ٣ ـ الوحدة القومية السودانية ٤ ـ السودان العربى ٥ ـ تحت ظل العلم ٦ ـ عزائم الشباب ٠

وانه لمن المثمر بلا شك أن يكون للمفكرين عندنا دور فى الالتقاء بكل الحركات الجادة فى البلاد العربية ، فمن خلال هذا الالتقاء يمكن أن يكون للفكر العربى دور لا فى العالم العربى فقط ولكن فى العالم كله .

**« عبده بدوى »**



# رسالة العلم



للدكتور عبد الحليم منتصر

# فكرة التطور بين ابن مسكويه وداروين

**صدرت اخيرا** ، الترجمة العربية ، لكتاب أصل الانواع ، الذى نشره داروين ، فى انجلترا أول مرة سنة ١٨٥٩ ، وهو الكتاب الذى أحدث نشره ضجة لا أعرف كتابا آخر ، أحدث مثلها ، لما اشتمل عليه من آراء جريئة فى التطور .

ويعتقد الكثيرون خطأ ، أن داروين ، هو أول من نادى بالتطور ، فالقول بالتطور قديم قدم الفكر العلمى نفسه ، فقد نادى به حكماء بابل وآشور ومصر الفرعونية ، فكانوا يقولون بأثر الكواكب فى نشأة الحياة على الارض ، وانها لم تنشأ الا بالتدريج ، درجة بعد درجة ، وانه بتأثير الكواكب السيارة فى عناصر الارض ، تعاقبت الأحياء فيها . فقد نشأت أول الامر كتلة لزجة من المادة ، لا شكل لها ولا صورة ، اللهم الا نفثة من الحياة ، نفثها الخالق فيها ، ثم أثرت الطبيعة فى تلك المادة فتقلبت فى أطوار من النشوء ، بلغت فى حدودها الاخيرة الصورة البشرية .

وكذلك قال حكماء الاغريق بتطور الكائنات ، وان الانسان ظهر بعد الحيوانات كلها ولم يخل من التقلبات التى طرأت عليها ، وأخذ يتقلب عليها الى أن حصل على صورته الحاضرة .

ويدل كلام « اناكساندر » ، من علماء القرن السابع قبل الميلاد ، على أن بحوثا مستفيضة قد تقدمت بحثه فى نشأة الحياة على الارض وتطورها . وهو ينسب هذه النشأة الى تأثير الشمس فى الارض التى كانت أول الامر طينية رطبة ، فلما وقع فعل الشمس تولدت الحيوانات الاولى ، وبازدياد فعل الشمس ظهرت حيوانات أخرى امكنها أن تحفظ نفسها وتزيد نوعها ، أما الانسان فقد ظهر بعد الحيوانات ، وتطور الى أن بلغ صورته الاخيرة .

**ولعل اخوان الصفاء وخلان الوفاء** ، كما سموا أنفسهم ، هم أول من تكلم فى التطور من العلماء العرب ، فقد ورد فى الرسالة العاشرة من رسائلهم التى بلغت اثنتين وخمسين رسالة ورسالة على حد تعبيرهم ، ورد فيها حديث طويل عن أثر الوراثة الرجعى والانتخاب الطبيعى والانقراض ، الى غير ذلك من مصطلحات أورد العرب كثيرا من المشاهدات للدلالة عليها والتعريف بها ، ولعلهم أول من قال بأن عالم الحيوان والنبات والجماد واحد ، تفصل بين بعضها وبعض حدود انقلابية دقيقة .

قالوا : واعلم يا أخى بأن أول مرتبة النباتية أو دونها مما يلى التراب ، هو خضراء الدمن وآخرها وأشرفها مما يلى الحيوانية هو النخل، قالوا وأما النخل فهو آخر مرتبة النبات مما يلى الحيوانية ، وان أدون الحيوان وأنقصه هو الذى ليس له الا حاسة واحدة ، وهو الحلزون ، فان الحكمة الالهية ، لم تعط الحيوان عضوا لا يحتاج اليه فى وقت جر المنفعة أو دفع المضرة ، والذى اسماه اخوان الصفاء الحكمة الالهية هو ما أسماه داروين بعدهم بعدة قرون الانتخاب الطبيعى .

قالوا وفي النبات نوع آخر فعله أيضا فعل النفس الحيوانية ، وان كان جسمه نباتيا ، وهو الكشوث ( الحامول ) ، وهو نوع من النبات ليس له أصل ثابت في الارض كما يكون لسائر النبات ، ولا له ورق كاوراقها ، بل هو يلتف على الشجر والزرع والبقول والحشائش ، يمتص من رطوبتها كما يفعل الورد الذى يدب على ورق الاشجار وقضبان النبات.

واخوان الصفاء وان جانبهم التوفيق في هذه المشابهة الظاهرية بين الحيوان والنبات ، الا انهم يريدون بذلك ان هناك نوعا من التطور من الصورة النباتية الصرفة ، ممعنة في التصعيد نحو الحيوانية.

ويعتبر «**ابن مسكويه**» عالمنا العربي الأشهر، أول من نادى بالتطور صراحة ، وقد عاش عالمنا حقبة مزامنة تقريبا لاخوان الصفاء ، فهو من علماء القرن الرابع الهجرى ، وقد توفى في عشرينات القرن الخامس الهجرى .

يقول ابن مسكويه في كتابه «الفوز الاصغر» — ان أول اثر ظهر في عالمنا هذا من نحو المركز ، بعد امتزاج العناصر الاولى، اثر حركة النفس في النبات، وذلك انه تميز عن الجماد بالحركة والاغتذاء . ثم مضى يقسم النبات الى ثلاث مراتب وقال بأن النبات أسبق في الوجود من الحيوان ، لأن حركة أثر النفس أى الحياة في النبات ، كانت أول ما ظهر على الارض بعد امتزاج عناصرها الاولى. ويقول ان مرتبة الاولى أول ما نجم من الارض ، ولم يحتج الى بذر ، وذلك انه في أفق الجماد والفرق بينهما هذا القدر اليسير من الحركة الضعيفة في قبول أثر النفس ، ولعله يعني ما نسميه النباتات الدنيئة أو البسيطة ، وينتقل الى المرتبة الثانية في النبات ، الذى يصير له من القوة في الحركة ، بحيث يتفرع وينبسط ويتشعب ، ويحفظ نوعه بالبذور ويظهر فيه من اثر الحكمة ، أكثر مما يظهر في الاول . ولا يزال هذا المعنى يزداد في شيء بعد شيء ظهورا ، الى أن يصير الى الشجر الذى له ساق وورق وثمر يحفظ نوعه ، ثم تدرج من ذلك الى القول بانه اذا صار في الأفق الاعلى من النبات ، فانه يقبل صورة الحيوان، وهذه المرتبة الاخيرة من النبات ، ان كانت في شرفه، فانها أول أفق الحيوان ، وهى مرتبة انتقالية .

ويضيف ابن مسكويه قوله : « ولا جرم ان نشوء النبات من الجماد ونشوء الحيوان من النبات، يشمل بالضرورة نشوء صوره العديدة متدرجة فيها نحو كل مرتبة من هذه المراتب التي ذكرها، وان الانسان ناشيء من آخر سلسلة البهائم ، وانه بقبوله الآثار الشريفة من النفس الناطقة وغيرها ، يرتقى حتى رتبة أعلى من مراتب البشر يقول انها مراتب القرود وأشباهها من الحيوان ، الذى قارب الانسان في خلقة الانسانية وليس بينها الا هذا القدر اليسير الذى اذا تجاوزه صار انسانا .

وقد عالج ابن مسكويه فكرة التطور في كتاب آخر من كتبه هو « تهذيب الاخلاق » فيقول فيه ، بعد أن ذكر انتقال الحيوانات التي لم تعط من قوة الفهم الا القدر اليسير الى مرتبة القرود ، وانتقال هذه الى مرتبة الانسانية يقول « ثم يصير من هذه المرتبة الى مرتبة الحيوان الذى يحاكي الانسان من تلقاء نفسه ، ويتشبه من غير تعلم كالقرود وأشباهها ، وتبلغ من ذكائها أن تستكفي من التأديب ، بأن ترى الانسان يعمل عملا فتعمل مثله من غير أن تحوج الانسان الى تعب بها ورياضة لها ، وهذه غاية أفق الحيوان ، التى ان تجاوزها وقبل زيادة يسيرة ، خرج بها عن أفقه وصار في أفق الانسان الذى يقبل العقل والتمييز والنطق ، والآلات التي يستعملها ، والصور التي تلائمها ، فاذا بلغ هذه المرتبة تحرك الى المعارف واشتاق الى العلوم وحدثت له قوى وملكات ومواهب من الله عز وجل، يقتدر بها على الترقي والامعان في هذه المرتبة ، كما كان ذلك في المراتب الاخرى التي ذكرناها وأول هذه المراتب من الافق الانساني المتصل بآخر ذلك الافق الحيواني ، مراتب الناس الذين يسكنون في أقاصي المعمورة ، من الامم التي لا تميز عن القرود الا بمرتبة يسيرة ، ثم تتزايد فيهم قوة الفهم والتمييز الى أن يصيروا الى أواسط الاقاليم ، فيحدث فيهم الذكاء وسرعة الفهم والقبول للفضائل .

أما « **ابن خلدون** » ، فيقول في المقدمة شارحا تسلسل بعض الاحياء من بعض ، ثم انظر الى عالم التكوين ، كيف ابتدأ من المعادن ، ثم النبات ، ثم الحيوان ، على هيئة بديعة من التدرج ، فآخر أفق المعادن ، متصل باول أفق النبات ، مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر افق النبات مثل النخل والكرم ، متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ، ولم يوجد لهما الا قوة اللمس

فقط ، ويعنى الاتصال فى هذه المكونات ، ان آخر افق كل منها ، مستعد بالاستعداد القريب ، لان يصير اول افق الذى بعده ، واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه ، وانتهى فى تدريج التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية ، ترتفع اليه من عالم القدرة الذى اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل ، وكان ذلك اول افق من الانسان بعده وهذا غاية مشهودنا .

وكذلك أورد الجاحظ فى كتابه الحيوان بعض المشاهدات التى يراها بعض الباحثين متفقة مع فكرة التطور وذلك فى حديثه عن ظهور الصفات المتوازنة على قدر من العمر .

ويهمنا ان نلاحظ هنا أمرين على أعظم جانب من الاهمية ، اولهما ان فكرة التطور قديمة ، لم يكن داروين مبتدعها ، وان العلماء العرب قد عالجوها معالجة تفكر وتدبر وفلسفة كما تبين ذلك من رسائل اخوان الصفاء ، وكتابات ابن مسكويه ، وابن خلدون ، والجاحظ . اما ثانى الامرين اللذين أحب ان انبه لهما فى هذا المقام ، فهو هذه الحرية فى الآراء العلمية يطلقها العلماء فى غير ما خوف ولا وجل ولا تردد . فقد يظهر ان حرية الرأى العلمى كانت مكفولة الى أبعد الحدود . فلم يتعرض العلماء المسلمون ، بسبب آرائهم العلمية الى بطش أو عسف او اضطهاد ، لم يتعرض أحد منهم الى عشر معشار ما تعرض له بعض علماء أوروبا فى عصر النهضة من بطش وتنكيل ، لآراء أقل شأنا من هذه التى قال بها العلماء العرب .

ويظهر ان فكرة التطور كانت تراود « **داروين** » وهو على ظهر السفينة «بيجل» يطوف بها فى رحلة علمية طويلة ، عبر بها البحار ، وأرسى مراسيها فى كثير من الجزر فى مختلف بحار الارض ، وانه ليجمع الملاحظات ، ويسجل المشاهدات ، ويرتب المجموعات، ويقارن بين ما رآه هنا ، وما شاهده هناك من نماذج وعينات وحفريات ونباتات وحيوانات وطيور وأسماك وحشرات . ثم عكف على دراسة مجموعاته وتنسيقها، وتسجيل آرائه عدة سنين ، الى أن خرج على الناس بكتابه «اصل الانواع» أول مرة سنة ١٨٥٩ وقد بنى داروين نظرية عن التطور على خمسة عوامل طبيعية رئيسية ، قال انها تؤدى بفعلها الى التطور ونشوء الانواع ، اما تلك العوامل فهى الوراثة ، والتحول والتوالد ، وتنازع البقاء وبقاء الاصلح . فقال بأن الحياة أول ما ظهرت على الارض كانت فى صورة هلامية ، ثم تتابعت صور الاحياء ، بفعل العوامل الخمسة ، فقد جمع من الحقائق والنماذج فى رحلاته العلمية ما جعله يؤمن بالتطور ، وينشر نظريته على الناس ، فقال بالتحول بالايلاف ، وتكيف الصفات عن طريق الوراثة ، وتجمع التحولات بالانتخاب والتناحر على البقاء بين الكائنات الحية التى تقطن الارض ، وبين أن هذا التناحر نتيجة للتكاثر بنسبة رياضية طبقا لمذهب « مالتس » وانه ليطبق هذه النسبة على عالمى الحيوان والنبات ويتكلم عن الانتخاب الطبيعى وكيف يؤدى الى انقراض الاحياء المختلفة عن الارتقاء .

وقد ذكر داروين أسماء كثير من الاعلام ، ممن ناقش آراءهم ، ومن عجب انه لم يذكر من العلماء العرب أحدا ، مع أن اخوان الصفاء ، وابن مسكويه، وابن خلدون قالوا بفكرة التطور قبله بقرون ، ولا يمكن أن يكون قد جهل كتاباتهم أو لعله اطلع عليها ، ولم يشأ الاشارة اليها ، شأن كثير من علماء اوروبا الذين لا يحبون أن ينسبوا الفضل لذويه .

ومهما اختلف الرأى فى نظرية داروين فى التطور ، فقد كان مجددا فى عرضها، وقد أضاف الى معلوماتنا الكثير ، مما جعل كتابه أصل الانواع ، نقطة تحول فى تاريخ علوم الحياة ، ومازال علماء الاحياء ، ينهجون نهجه فى البحث والدرس ، ولو لم يؤمنوا برأيه فى التطور .

**« د . عبد الحليم منتصر »**

# مع فنان

تقديم

اميل جرجس

ان الفجر الكاذب قد انتهى ، وابطال الفجر الكاذب يفنون مثل الخيط الاسود في غمار ضوء صادق صاعد .

ان اعمال الفنان المصور رشدى اسكندر تتميز بمضامين انسانية خاصة حيث يصور حياة الظلام في علب الليل ورواقصاتها وحيث يربط حياته بالمسرح والرسم ويعيش بين اللون والضوء والخطوط والظلال ثم ينتقل الى ليالى الضوء الخافت حيث ملاهى الموالد والمراجيح والحاوى ودقى يامزيكة .

لقد عاش الفنان ليله ونهاره بفرشاته فاحس بما فيها من حياة متناقضة فالهب خياله وسجل ما شاهده بالوان فيها تاملاته وتصوراته في جراة ملموسة وخطوط واضحة ... ثم تطور حيث الفنون الرفيعة مواجها لكل فرصة فنية خارجية او محلية مسجلا الأوبريت ورقصات الباليه والفنون التى تمثل شعوب العالم . ولعل الموسيقى كان لهـا اثر عليه في تردده على المسرح فشغف بها ...!!

انك حين تراه بين الكواليس لاتجده رساما بقدر ماتجد فيه مشاهدامستمعا ممثلا راقصا .. تراه مهرولا غارقا في عرقه بين الكواليس ثم في الصالة بين المشاهدين .. يحيا داخل اطار العمل الفنى .. ومن هنا يبدو التسجيل السريع الجرئ الصادق حيث يركز على الوجوه والحركة والايقاع فيخرج لنا سمفونيات مرسومة .لقد ضرب الفنان رشدى اسكندر رقما قياسيا في سرعة تسجيل برامج الفنون الشعبية المحلية والواردة .. ونحن ننتظر منه المزيد .





رشدى اسكندر

- **ولد في ابريل عام ١٩١٨ ونشا في القاهرة**
- بدأ حياته الفنية في السادسة عشرة من عمره ، الا لم يكتف بالنشاط الفنى والمسرحى بالمدرسة بل التحق بفرقة رمسيس ممثلا هاويا .
- في مستهل عام ١٩٣٥ أنشأ جمعية نهضة المسرح للتمثيل والموسيقى واشترك فيها بالتمثيل والتأليف حيث قدم مسرحيتى الغيرة والعفاف .
- تخرج في كلية الفنون الجميلة عام ١٩٤٢ وعاش بين الكواليس منذ ذلك الوقت يسجل بإخلاص وإع فيما مخصوصة من فنون الرقص المختلفة .
- في عام ١٩٣٥ قدم أول معرض لأعماله وقدم لوحاته باسم ليالى القاهرة التى تشمل حياة الليل التى قضاها بين جوانبها
- ثم قدم بعد ذلك عدة معارض مختلفة باسم ليالى القاهرة في متحف الفن الحديث سنة ١٩٥٢ ، جمعية الباليه القاهرة سنة ١٩٥٩ ، ومتحف الفن الحديث سنة ١٩٦٠، والجمعية الأهلية للفنون الجميلة سنة ١٩٦١، ومتحف الفن الحديث سنة ١٩٦٢، واخيرا بقاعة اخناتون سنة ١٩٦٥ .
- اشترك في عدة معارض مختلفة من بينها بينال البندقية العالمى سنة ١٩٥٢ المعرض الآسيوى الافريقى سنة ١٩٥٦ ، معرض الشباب برومانيا سنة ١٩٥٣ .
- له مقتنيات بالداخل والخارج منهـا بعض المقتنيات بمتحف مسرح لونوسبرك بالاتحاد السوفييتى ومتحف مسرح بلجراد بيوغسلافيا ... كما ان له مجموعة خاصة بالاسكندرية وباريس وامريكا وايطاليا ويوغسلافيا .

# أسبوع الكتاب العربي

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومي

١٩٦٥

- معرض الكتاب العربي يشترك فيه ٥٧ هيئة .
- مؤتمر عام لمناقشة مشاكل الكتاب العربي .
- معرض لتطور فن الطباعة .
- معرض للفنون التشكيلية .
- ندوات لكبار الكتاب .
- عروض سينمائية .



شبين الكوم

من ١٢ إلى ١٨ يونيه سنة ١٩٦٥

بنادى الموظفين

بقلم : محسن عبد الحي

مشكلات الحضارة

# فكرة الأسيوية الأفريقية
## فى مؤتمر باندونج

تأليف : مالك بن نبى
ترجمة : عبد الصبور شاهين
تقديم : أنور السادات

ينعقد فى التاسع والعشرين من هذا الشهر المؤتمر الافريقى الآسيوى فى الجزائر .. وسط جو دولى ملبد بالغيوم التى تضغط على أنفاس انسان النصف الثانى من القرن العشرين .. ينعقد هذا المؤتمر واحتمالات حرب عالمية جديدة تبرز هناك فى الافق البعيد . فى جنوب شرقى آسيا .. وربما يتحرك الاستعمار الصهيونى فى فلسطين عن قريب احدى تحركاته العدوانية الطائشة على طول الجبهة العربية . فتكون الحرب التى يريدها الاستعمار العالمى .

اننا نعيش فى عالم سيطرت فيه على الحياة الدولية « ارادة القوة » التى لا تفارق حضارة القرن العشرين — وتعتبر ارادة القوة هذه بمثابة قانون عام يحكم سلوك النفسية الغربية الاستعمارية . قانون يسجل التأخر الخلقى لانسان الغرب ، حتى كأنه يعيش فى القرن التاسع عشر ، واحيانا يبدو وكأنه يجر الخطا فى القرون الوسطى عندما يستمد غذاءه الروحى من تاريخ محاكم التفتيش ومن سيرة فرسان الاستعمار ، هذه المصادر التى تعود به دائما الى العنصرية واحتقار الانسانية .

لقد خضع العالم لسيطرة أوربا منذ قرنين من الزمان ، والمشاكل التى لم تستطع السياسة والحروب خلال نصف قرن أن تضع لها حلا مؤثرا انما تنتج عن هذه السيطرة الاوربية — العليا على الشئون الانسانية . فموطن الازمة اذن موجود فى الضمير الاوربى نفسه — والامريكى باعتباره امتدادا له — فى علاقته بالمأساة الانسانية .

فمنذ انعقاد مؤتمر باندونج — وخريطة العالم تصمم من جديد لصالح قوى التحرر والتقدم ، الا أن الاستعماريين مازالوا يفكرون بمنطق تقسيم العالم الى مجموعتين : مجموعة « المتحضرين » المتجمعة فى دول كبرى ، ومجموعة « المستعمرين » وان اختلفت التعريفات والمفاهيم — أولئك المشحونين فى « عبوات » تسمى بالمستعمرات وهنا تأتى اهمية المؤتمر الافريقى الآسيوى حيث يضع زعماء افريقيا وآسيا بعد أيام فى الجزائر اسس المجتمع الانسانى الذى يرفض منطق القوة ويفضل منطق البقاء

**ولم اجد من يحدثنا عن التقاء زعماء افريقيا وآسيا فى مؤتمرهم الانسانى الكبير خيرا من المفكر العربى الجزائرى المسلم مالك بن نبى .. فهو ينتمى الى امتنا العربية التى يتحقق فى صلب تكوينها السياسى والجغرافى الفكر الافريقى الآسيوى المتلاقى . وهو أيضا يتحرك بوعى صادق وعميق فى اطار أيديولوجية اسلامية بناءة ومستنيرة .**

أيديولوجية ترى أن محور العالم الاسلامى من طنجة الى جاكرتا يتفق بالتحديد مع محور العالم الأفرو أسيوى — وبسبب هذا الوضع الخاص يتمتع الاسلام بوضع القاسم المشترك مع جميع الثقافات التى تؤلف الرابطة الروحية فى العالم . فهو فى مركزه فى البحر المتوسط يقع فى قلب عالم الكتاب المقدس ، الذى يتقاسم معه رسالة ابراهيم ، وهو فى

مراكزه الاسيوية يقع في قلب عالم « البهاجافادجيتا» وفكرة بوذا وحكمة كونفوشيوس ، وهو في أفريقيا الوسطى على صلات مع النفس الانسانية العذراء المنزهة عن أى طابع تعليمى فى كامل براءتها البدائية • **فمن خلال هذا الفكر الاسلامى الواعى •• ينظر مفكرنا العظيم الى العالم والى فكرة الافريقية الآسيوية ـ بعظمتها وعمق تلاقيها حيث تقف روحانية الاسلام على طرف ـ وماركسية الصين الشعبية على الطرف الآخر • ولننظر كيف يصوغ مالك بن نبى أفكاره حول قضايا آسيا وافريقيا وحول قضية محنة الانسان المعاصر •**

**يقول المؤلف ••**

لقد أصبح الرجل الافرو آسيوى العميل المستعبد المستغل للاقتصاد الحديث ، دون أن يجد فى نفسه وفى تقاليده وفى عاداته الوسيلة الكافية كيما ينتزع نفسه من تورطه ، وهكذا بدأ عصر الحتمية الاقتصادية بالنسبة له مع بدء العصر الاستعمارى ، ولم يخلصه تحرره السياسى بصفة عامة من التورط الاقتصادى ، فان المشكلة أولا ذات طابع نفسى حيث ان المعنى الاقتصادى لم يظفر فى ضمير العالم الافرو آسيوى بنفس النمو الذى ظفر به فى الغرب، فى ضمير الرجل الاوربى وفى حياته • والحق أن الاقتصاد فى الغرب قد صار منذ قرون خلت ركيزة أساسية للحياة الاجتماعية ، وقانونا جوهريا لتنظيمها • أما فى الشرق فقد ظل على العكس من ذلك فى مرحلة الاقتصاد الطبيعى غير المنظم حتى أن النظرية الوحيدة التى تناولت تأثير العوامل الاقتصادية فى التاريخ ، وهى نظرية ابن خلدون قد ظلت حروفا ميتة فى الثقافة الاسلامية ، حتى نهاية القرن الاخير ، فلم يقبل المجتمع الشرقى تحت تأثير احتياجاته الداخلية على أن يضع نظرية اقتصادية كما حدث فى المجتمع الغربى ، حين وضع الراسمالية والشيوعية ـ انه لم يقبل على هذا بسبب ما انطوى عليه من نفسية خاصة منعقدة على الزهد كمثل أعلى منذ قرون ، وأن فقها اقتصاديا يستلهم خطته ومفاهيمه من مثل كهذه ، ويصدر عنه لا يمكنه بداهة أن يعبر بنفس الدقة العملية عن فكرة « المنفعة » الخاصة بالراسمالية أو عن فكرة «الحاجة» الخاصة بالنظرية الماركسية ، فالزهد والمنفعة والحاجة ثلاث حقائق لايمكن أن تدخل فى اطراد اجتماعى واحد ، وفى واقع اقتصادى واحد

فقد كان هناك اذن عنصر تنافر اساسى بين الاوضاع الشخصية الموروثة فى البلاد الافرو أسيوية ومن التكوينات الاقتصادية التى وضع أسسها العصر الاستعمارى .

لقد كان لينين يعرف أنه لكى ينشىء المجتمع الاشتراكى ، عليه أن يستخدم «مواد» قد يقدمها اليه المجتمع «البرجوازى» وطبقة «البروليتاريا» هى احدى تلك المواد . وهى تدرك أكثر من ذلك أن التمزيق الذى أوجدها «كطبقة» هو بداية خلاص المجتمع الذى تصدر عنه ، وهى تدرك أنها حاملة لمسئولية هذا الخلاص .ونتائج الفكرة الافرواسيوية هى نفس هذه النتائج بغض النظر عن جميع الاعتبارات الدينية أو السياسية . والشعوب الافرو أسيوية تؤلف فى العالم نوعا من «البروليتاريا» بالمعنى الذى خلعه « توينبى » على هذه الكلمة ـ ولكن دون أن نذهب فى هذا المعنى الى نهايته .. ومن ثم فان على هذه الشعوب أن تعرف قدر نفسها أولا : لتحمل بعد ذلك الخلاص الى العالم .

ان الفكرة الافرواسيوية تدين لطبيعتها كفكرة يمليها الاسلام والهندوسية بتركيب ثنائى ، وهذه الخاصية تحول بينها وبين أن تتبلور فى كتلة صالحة لأن تستخدم فى عمل من أعمال السيطرة ، بل ستظل على العكس من ذلك تسمح بتدخل جميع تيارات الفكر ، وتحمل رسالة الخلاص الفنى بجميع العناصر الخلاقة ، تلك العناصر التى يمكن أن تضع فيها جميع التيارات المثرية فى التجربة الانسانية كلها .

لقد بدأ حوار جديد فى التاريخ ، حوار لم يكن المتحدث الى القوة فيه قوة أخرى من نوعها ، تجر العالم الى الحرب طبقا لسياسة ـ حافة الهاوية ، بل هو نوع جديد ، ليس المتحدث فيه قوة ذرية ، بل انه يتسلح بقوانين أخلاقية وسياسية جديدة برهن غاندى على صلاحيتها . لقد أتت الشعوب الافرواسيوية معها بمبدأ تركيب العالم ، وبامكانيات تعايش جديد يحمل بوضوح طابع عبقريتها ، هى شروط أخلاقية لحضارة لاتكون تعبيرا عن القوة أو الصناعة . ولعل التاريخ يقول للاجيال فيما بعد : ان الفكرة الافرو اسيوية قد وهبت الخلاص للعالم ، قبل أن يطلق عليها اسمها ، فهى بانشائها «المنطقة الحرام» بين الكتلتين فى ضرورة سياسية حيادية ، كونت فى الحقيقة فراغا لم تعد الحرب الباردة تجد فيه قوتا يحولها الى

حرب ساخنة . وهى بعملها هذا قد أتاحت «لفكرة التعايش» أن تأتى فى وقتها .

لقد رفعت الحضارة الغربية طاقة الانسان الى مستوى غير مألوف ، وعندما وصلت هذه الطاقة الى درجتها تلك — قلبت كل حقائق التاريخ ، وأدخلت فيه عنصر قوة يطبعه بطابع الشمول ، وبذلك وجدت الشعوب نفسها وكأنما تقلها سفينة واحدة الى مصير واحد ، فهى تشعر شيئا فشيئا بفضل التطورات الصناعية الحديثة ، وبخاصة فى الميدان الفرى ، بأن عليها أن تجتاز مجتمعة بعض المراحل الحاسمة وأن تعالج المشكلات الجوهرية بصفة مشتركة ، وهكذا نجد أن عهد تحلل المادة يتفق مع عهد التجمع الانسانى ، اذ لم تعد هناك جزيرة الفردوس التى يمكن للانسان أن يعيش فيها منعزلا عن تيارات الاحداث . ومن ثم فاننا نرى أن الفكرة الافرو أسيوية تقدم الى العالم رسالة اتحاد وأخوة . .

والاسلام بسبب روابطه العديدة بالنسيج الانسانى الراهن ، حيث يعتبر جزءا جوهريا فى السلسلة — وبفضل طبيعته واتصالاته يعتبر الجسر الذى يصل مابين الاجناس والثقافات ، فهو عامل بلورة ، وعنصر جوهرى اذا ماأردنا اليوم تكوين « مركز حضارة أفرو أسيوى ، وغداه تكوين حضارة عالمية . اننا نرى فى الاسلام وفى القرآن الكريم « أجنحة أخلاق اجتماعية وقواعد للسلوك المؤثر الايجابى تسقط فى غمار الاهمال والنسيان لان العالم الاسلامى — لا الاسلام — هو الذى أهملها وأغفلها .

فالمسلم الحقيقى يتخذ من الدين «محور حركة» لحياته كلها .. فهو مفتاح نفسيته والمقياس الذى تقاس به جميع أشكال سلوكه .

وهذا الجانب الذى يمكن أن نسميه «بالمنطق العملى» فى الاسلام هو الذى يكون فصلا كاملا من فصول الثقافة الاسلامية .

ومما لاجدال فيه أن الاسلام قد احتفظ بمضائه الذى صيغت به الحضارة الاسلامية كذرة فريدة فى التاريخ ، ولكن المسلم هو الذى فقد استخدامه الاجتماعى ، ومع ذلك فقد احتفظ بالجوهر ، أى بهذا المضاء الروحى الضرورى لحل عقدة العقد فى العالم الراهن .

## النظام الدولى والسلام العالمى

**تأليف : ا.ل. كلود**
**ترجمة : الدكتور عبد الله العريان**
**الناشر : دار النهضة العربية**

يعرض هذا الكتاب لكفاح الانسانية من أجل اقامة نظام دولى ، وسعيها نحو ارساء دعائم السلام العالمى ، والكتاب يعرض وجهة نظر فى التنظيم الدولى والعلاقات الدولية تساير منهج التنظيمية التجريبية ويتناول الجزء الأكبر من الكتاب الأمم المتحدة ومشاكلها مع ايضاح الصلة التاريخية بينها وبين المنظمة الدولية السابقة عليها، وهى عصبة الأمم وتعرض الكتاب كذلك للمناهج التى اتبعت خلال القرن التاسع عشر وقبل انشاء عصبة الأمم للمحافظة على السلام الدولى .

وقد أبرز المؤلف الدور الذى تستطيع به الأمم المتحدة معالجة المشكلة الاستعمارية بقوله « ان الأمم المتحدة لا تمثل فقط المحاولة المنظمة الأولى ، بل ربما أيضا الفرصة الأخيرة للمدنية الأوربية لكى تكفر عن ماضيها المظلم فى علاقاتها بالشعوب غير الأوربية ، وقد لا تكون أوربا جديرة بهذه الفرصة ، ولكن ها هى الفرصة قد سنحت لها » .

ويقع الكتاب فى ٧١٨ صفحة من القطع الكبير .

## دراسات فى المسرح
## مسرح رشاد رشدى

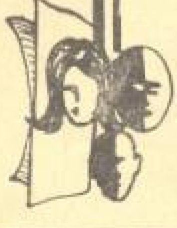
**تأليف : فاروق عبد الوهاب**
**الناشر : مكتبة الانجلو المصرية**

يحتوى الكتاب على مجموعة من الدراسات النقدية التى اتخذ فيها المؤلف الطابع التحليلى للتجارب الفنية .. وقد اتخذ المؤلف نماذجه من بعض المسرحيات التى كتبها الدكتور رشدى الذى يقول فيه :

« اننى لا أتردد فى وضعه مع الموضوعيين الأذكياء ، لأنه نجح فى مسرحياته الأربعة التى كتبها حتى الآن ، وهى بتسلسلها الزمنى — الفراشة ، لعبة الحب ، رحلة خارج السور ، وخيال الظل ، ونجح فى ايهامى كل مرة اننى أمام عالم جديد ، قد يشترك مع العوالم الأخرى فى بعض المظاهر ، وقد ينتظم مع هذه العوالم فى اطار واحد ، الا أن كلا منها يختلف تماما عن الآخر، وبالأحرى عن عوالم الكتاب الآخرين » .

ويقع الكتاب فى ١٥٢ صفحة من القطع الصغير .

«تحسين عبد الحى»



# قراءات في المجلات العربية

يقدمها محمد العوانى

**● الدين .. والمذاهب المستحدثة :**

تحت هذا العنوان كتب « حسن عباس زكى » مقالا فى « الجمهورية » الصادرة بتاريخ ١٠ يونيو ١٩٦٥ عرض فيه للتيارات والمذاهب الفكرية التى تهب على الشرق وتلبس شعارات العلم أو الواقع أو العقل أو الاعتماد على الحس ومظاهر الطبيعة ، ويقصد أصحابها من ورائها النيل من الأديان والتخلص من الايمان بالله الى الايمان بهذه الشعارات، والتحلل من المعانى الانسانية والقيم الروحية .

ثم بين أن « هذه التيارات غير جديدة على الدين ـ فقد منى منذ بزغت شمسه بمذاهب الالحاد والانحلال، وكانت النتيجة دائما أن يخرج منها غالبا منتصرا ، وتمسى هى مغلوبة مقهورة ، ذلك لأنه ينبثق من روح الله ونوره والله متم نوره .. أما هى فتعتمد على الانطلاق من قيود الروح لترسف فى قيود المادة .. وتندفع فى هذا الطريق فتنقطع بينها كل رابطة ، وتسلم كل انسان الى هواه » .

وعقد الكاتب مقارنة بين ما تلمسه الانسانية فى حياتها الاجتماعية والاقتصادية فى ظلال مجتمع تسوده النظم الدينية ، ومجتمع تستولى عليه الآراء والمذاهب التى يفرضها الانسان على الانسان، وتساءل: « أى المجتمعين أجدى على الانسانية وأكثر نفعا لها ، «مجتمع توفر مبادئه الطمأنينة النفسية ، وتملأ قلوب أبنائه بالأمل ليصلوا الى غاياتهم ، وتقوم كل فرد بمقدار ايمانه وخلقه وعمله ، وتحاسبه على مايفعل من خير فتجازيه خيرا ، وما يقترف من شر فتجازيه شرا ؟ أم مجتمع يسلب كل فرد حريته ويدفعه الى حركة دون غاية وعمل بلا أمل ؟ أم ذلك المجتمع الذى يعزل الامة عن تاريخها ويبيح لكل انسان أن يفعل ما يشاء ، ويصير فيه الجلاد مثل الضحية ، والخائن مثل البطل ؟ ويسوى بين أوجه النشاط .. وأيهما أقرب الى المنطق والعقل : أن تدين بدين يخاطب الضمير الانسانى فى كل زمان ومكان أم تدين بالعلم وما تزال التجارب تغير من قواعده ، أم بالعقل وهو متأثر أبدا بالظروف التى يعيش فيها صاحبه .. والظروف الجغرافية والقومية ، والظروف الصحية والاجتماعية ، ولا ينكر أحد تأثير هذه الظروف فى التوجيه والتفكير .. أم تدين بالحواس وما تقع عليه ، وهى كثيرة الخداع وصاحبها دائما متأثر بها خاضع لما يقع تحتها ..

ثم أكد ان الايمان بالله هو الذى يعصم الانسانية من التناحر ، ويحول بين الفرد وبين التعدى على غيره، "ويوجه الافكار والعقول الى مقاصد الخير ويدفعها الى البحث والتطور ويقدر النزعات والعواطف والميول فيرسم لها مايقيها شر الصراع والزيغ والضلال وانتقل الكاتب موضحا أن الشرق ينظر الى دعاة التجديد هؤلاء نظرة فاحصة ليتبين ما يكون ملائما لمعتقداته". فما كان متمشيا مع معتقداته آمن به وسار عليه" فى تنظيم شئون حياته وما كان زيفا

وتضليلا رفضه واعلن سخطه عليه . ثم قال انه لا قيمة للتطور اذا لم يقم على أسس من القيم الخلقية والصفات المعنوية والجوانب الروحية واشار الى أن من الخطل في الرأى ان يلجأ الداعون في الشرق الى هدم الدين ليقيموا على أنقاضه تشريعا جديدا .. فنحن حين نتعمق هذا الدين نجد فيه غاية ما نبغى من وسائل النهوض في كل مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ونجده قد بلغ من ذلك شأنا لم تدركه أية نظم حملتها الفلسفات والنظريات مهما تفنن مبتدعوها وتكلفوا في صيانتها واحاطتها بوسائل الاحاطة والشمول .

● **العالم العربي في رأى توينبي :**

ونشرت « الفكر المعاصر » مقالا كتبه « فؤاد محمد شبل » عن رأى توينبي في العالم العربي . ومهد الكاتب لمقاله موضحا أن العالم العربي يشغل مكانا بارزا في دراسة توينبي التاريخية فانه موطن حضارتين رئيسيتين هما أعظم الحضارات اصالة واوغلها في القدم ، الأولى : الحضارة المصرية والثانية الحضارة السومرية . وتفرعت عن الحضارتين المصرية والسومرية طائفة من الحضارات ورثتها جميعا حضارة دعاها توينبي بالحضارة السورية التي منها انحدرت الحضارة الاسلامية ، وهي التي يعتبر المجتمع العربي قطب رحاها سياسيا واقتصاديا وثقافيا .

وواضح أن توينبي يرى أن هناك أسبابا أدت الى ضعف العالم العربي بعد ماكان له من مركز ممتاز في المعترك الدولي ، ويذكر من هذه الاسباب « الغزو المغولي منذ سبعمائة سنة ، فقد اقتلع مدنا عامرة برمتها، وأحال مساحات شاسعةمن الاراضي المزروعة الى صحراوات ، وأباد ملايين عديدة من السكان ، ولولا هزيمة المغول أمام المصريين في موقعة عين جالوت للقيت مصر نفس المصير الرهيب الذي لقيه العراق وايران وافغانستان .. ثم بين أن مصر غدت بعد أن هزمت الصليبيين وكسرت شوكة المغول — غدت قلعة العالم الاسلامي العسكرية وحصنه السياسى والاقتصادى ومنارته الثقافية والدينية ، ولو لم توفق مصر كما يقرر توينبي — في عزم المغول والصليبيين لأظلم مستقبل الاسلام ، ولاسدل الستار على الثقافة العربية زمنا طويلا .

ثم تناول الوحدة العربية فوضح أن توينبيٌ يؤمن بان العالم العربي سيتوحد عاجلا أو آجلا لأن الوحدة اذا تمت « فستصبح للعرب قوة وتأثير دوليان يكفلان حل قضايا العالم العربي المعلقة حلا عادلا وفي مقدمتها قضية فلسطين » .

واذا كان العرب قد تمكنوا في الماضي بفضل اتحادهم من انقاذ بلادهم ودينهم من عدوان الصليبيين فانهم كما يقول توينبي يتعرضون « لضغط خارجي ثقيل الوطأة يجب أن يدفعهم الى ميدان الوحدة مرة أخرى » .

● **البشير الابراهيمي :**

نشر في العدد التاسع والتسعين من مجلة « الثقافة » بحث كتبه « أنور الجندى » عن المفكر الاسلامي الجزائرى « البشير الابراهيمي » الذى أمضى حياته مجاهدا في سبيل لغته واسلامه وبلده . ذلك أنه كان مليئا بالحيوية صادق الايمان ببناء الأمة عن طريق التعليم والمحافظة على عروبة الجزائر واسلامها ومقومات فكرها العربي الاسلامي من أن تذوب في تيار الغزو الفكرى والتغريب الذى كانت فرنسا تحاول به أن تفصل الجزائر عن الأمة العربية والعالم الاسلامي لتضمها بالفكر والروح الى الغرب .

لقد استطاع البشير أن يوسع نطاق جمعية العلماء التي تولى قيادتها بعد أن مات مؤسسها عبد الحميد ابن باديس ، واستشهد الباحث بنماذج من قول البشير وضحت مدى نشاط هذه الجمعية وشجاعته وايمانه ، فقد كان يواجه حكومة الاحتلال في جرأة ويدعو الى الايمان بالعروبة ممتزجة بالاسلام ، ويدافع عن وحدة العرب فيقول « الشعب الجزائرى فرع باسق من تلك الدوحة ، عدت عليه عوادى الدهر فنسى مجد العروبة ، ولكنه لم ينس أبوتها » . وابتلاه الاستعمار عن قصد بالبلبلة فانحرفت فيه الحروف عن مخارجها الا الضاد ، ثم يقول عن هذه الجمعية التي حققت للجزائرى نسبه العربى الصريح بريئا من شوائب الهجنة ، وأحيت في نفسه شعور الاعتزاز بنفسه وفي لسانه شعور الكرامة بلغته ، وفي ضميره شعور الارتباط بين ثلاثة المقومات الجنس واللغة والوطن .

« محمد العوانى »

# البريد الأدبي



## تحية وهدية

لسماحة الشيخ نديم الجسر

في العام الماضي تلاقى السيد نديم الجسر والشاعر محمود حسن اسماعيل في دار الاذاعة ، وجرى الحديث بينهما عن كتاب « قصة الايمان » فوعد الشيخ الجسر باهداء نسخة الى الشاعر الكبير .

وفي هذا العام احضر الشيخ الجسر النسخة التي وعد باهدائها واتفق ان قرأ في عدد الرسالة الأخير المقال الذي كتبه عميد كلية دار العلوم الدكتور محمود قاسم عن الشاعر وذكر فيه دواوينه الخمسة التي صدرت حتى الآن وهي « اغاني الكوخ » و « هكذا اغني » و « اين المفر » و « نار واصفاد » و « قاب قوسين » كما ذكر الدواوين التي سيصدرها الشاعر وهي « رياح الغيب » و « الباب-الوصد » و « سواقي الغمام » فاستحسن الشيخ الجسر ان يهدي قصة الايمان الى الشاعر بهذه الأبيات ، وقد ضمنها اسماء دواوينه الثمانية :

سلام على شاعر القاهرة  خليفة (احمد) في الحاضرة
« اغانيك في الكوخ » ثوب الربيع  بمن الجمال غـدت فائرة
ويسألك الناس : هل هذه دموع .. ام البسمة الساخره
وانت تقول لهم : « هكذا اغني » لأحلامي الحائره
و « اين المفر » و « نار » الحياة علينا « باصفادها » دائره
وان ادركتني « رياح الغيب » « لتوصد باب » المني الغابرة
لسوف تسوق الرياح « الغمام » وتغدو « السواقي » به سائرة
الخال الذي بيديه الحياة  بقاءك للنيل يا شاعره
ومني اليك دليل الولاء  رحيق الحنيفية الطاهره
هو الشعر لكنه « قصة  لآيات خالقنا الباهره
ارجي بها عفوه عندما  يزاح الغطاء عن الباصره
فما « قاب قوسين » ياصاحبي  باقرب من سفر الآخرة

## انشرت شعري أم دفنته

احمد أبو المجد عيسى

ديوان شعري قد طبعته  من بعد مجهود بذلته
فيه جمال للطبيعة في ابتكار قد رسمته
فيه سراب خادع  في كل أيامي ألفته
فيه من الدمع الذي  في عمر أحزاني سكبته
فيه من الألم الذي  من قسوة الأيام ذقته
فيه الحنين لموطن  بالرغم مني تركته
فيه من الغزل الذي  في رقة الأنسام صغته
يحكي جمالا رائعا  في فجر أيامي عشقته
فيه من السحر الذي  في جنته قبس شهدته
فيه الصبابة والقطيعة من حبيب ما هجرته
فيه بقايا من هوا  الا في هيام قد أضعته
فيه حديث عبقري عند غيري ما عهدته
لكنه من بعد طبع طال تحت الأرض صمته
قد أودعوه مخبئا  مثل المقابر قد وجدته
أنا لست أدري ياترى  أنشرت شعري أم دفنته

## من القصص الفيتنامي القصير

# الفيل الأعور والفيل الجني

### بقلم الكاتب الفيتنامي المعاصر : تران - كونج - تان

### ترجمة : عبد الواحد الإمبابي

وصلت مع الوحدة التي اعمل بها الى قرية « لونج في » الواقعة عند الحدود التي تفصل فيتنام عن لاوس . وكان الموسم من أجمل مواسم العام فلا أمطار ولا شمس قائظة . ولكن الدهشة العجيبة ملأت نفوسنا .. فالفلاحون – على الرغم من أن سيقان أشجار الأرز كانت ترتفع عالية في حقولهم لتمد بسطحها الأخضر البهيج امام الأعين . وعلى الرغم من شموخ أعواد الذرة بيهالها الذي حول أرض الوادي الى لوحة زاهية متألقة – كانوا يخشون المجاعة المهلكة ... وحين استوضحناهم جلية الامر كانت الاجابة واحدة من الجميع :

« هنا .. فوق هذه الهضاب يتهددنا اليوم عدوان لدودان : قطاع الطرق الفرنسيون الذين يدمرون منازلنا وينهبون ممتلكاتنا ويقتلون أبناء وطننا . وقطعان الفيلة المتوحشة التي تحطم المئات من بيوتنا وتخرب الكثير من محاصيلنا وتقتل – في معظم الأحيان – العديد من رجالنا » .

ولم تكن الفيلة في منطقة الحدود هذه اقل خطرا من الفرنسيين، ولذا كانت المعارك معها ومنازلتها أمرا كثير الحدوث على طول هذه السلسلة الجبلية .

وفي اثناء رحلاتنا كنا نشاهد في كل يوم قطيعين او ثلاثة على الأقل يضم الواحد منها بعض المئات من هذا الحيوان المتوحش . وكثيرا ما دخلت بعض وحدات جيشنا معها معارك مريرة كانت تستمر الساعات الطوال وتضطر رجالنا الى استخدام كل ما لديهم من أسلحة الحرب الفتاكة . وغالبا ما كانت وحداتنا ترغم في النهاية على الانسحاب بلا انتظام .

وشاطرنا أهالي قرية « لونج » بعض أيامهم الرهيبة . ولما كانت قريتهم قد تعرضت كثيرا للدمار الذي أحدثته الفيلة فقد كان عليهم ان ينتشروا في أماكن متفرقة وكانوا يقاسون الكثير من هذا التشتت . ولم تكن الفيلة لتبقى في اغاراتها على شيء... حتى المعابد والآثار التي خلفها أجداد هؤلاء القرويين منذ أجيال وأجيال بل حتى الكهنة كانوا يرغمون على الخروج من معابدهم ويلتجئون الى المناطق البعيدة الجرداء .

وكان النهار يتراءى لنا في هذه المنطقة قصيرا للغاية . كما كان الليل يبدو وكأنه زمن لا نهاية له . وبينما كنا راقدين في يقظة داخل الاكواخ عند قاعدة الجبل ترامى الى أسماعنا خلال الليل الساكن بزمهريره القارس خرير جدول قرية لونج ممتزجا باصوات الفيلة وطلقات بنادق العدو فلم نستطع أن نقاوم ضغط أطراف أصابعنا وهي تتجمع في عنف تعبيرا عن غيظنا المرير .

وفي هذه الليلة لم يغمض جفن الأم « بوفا » صاحبة الكوخ الذي نزلت به . فقد هبت واقفة في هدوء واشعلت مصباحا صغيرا أحدث أزيزا خافتا . ثم مشت على أطراف أصابعها الى حيث كنا ننام وجذبت في رقة ووداعة أطراف الغطاء لتدثرنا به وانتظرت حتى استغرقنا في النوم . ثم أخذت تحرق عيدانا قليلة من البخور ارتفع منها دخان أشبه بضفائر زرقاء يغيم حول شعرها الأبيض الفضي . وحملقت بعينيها في الظلام الداكن خارج الكوخ وبدأت تتمتم بدعاء تتوسل به الى « بوذا » أن ينزل بعضا من فيضه وبركاته .

ورأيت أعواد البخور تحترق في يديها النحيلتين وقد أغمضت عينيها نصف اغماضة وأخذت الدموع تنساب فوق وجنتيها الغائرتين الذابلتين – دموع الحزن والأسى – فقمت منتصبا أسألها في خفوت :

« ماذا دهاك يا أمي ؟ لماذا لا تذهبين الى مرقدك ؟ ستشعرين غدا بالإرهاق ان لم تنامي ... »

وتوقفت عن البكاء حين سمعت صوتي وأخذت تجفف دموعها بطرف معطفها البالي ثم قالت لي في حنان :

« نم يا بني فسيكون عليك في الغد أن تستيقظ مبكرا

لتحارب قطاع الطرق ... ثم حتى أستطيع أن أضع شعاع النور .. انني أتوسل الى بوذا أن يساعدكم في القضاء بسرعة على قطاع الطرق الفرنسيين ، وأتوسل اليه كذلك أن يبعد عنا الفيلة وأن ينقذ مواطنينا من هذا البلاء ..

واستعطفتني بعد ذلك أن أعود الى مضجعي ثم اطفأت المصباح .. ولكنني في مثل هذه الليالي كنت دائما اتقلب في سريري لا أستطيع أن أهنأ بنوم هادىء . ولم تكد تمضي الا أيام قلائل حتى اجتمع أعضاء وحدتي يناقشون موضوع الفيلة حيث قرروا في النهاية ضرورة ملاقاة عدوانها واصبح أمر مطاردتها الى الغابة هو هدفنا الاول والرئيسي .

غير أن الأم « بوفا » وكذلك أهالي القرية حين سمعوا عن تصميمنا على هذه الخطة أبدوا المزيد من القلق وحاولوا أن يصارحونا بحقيقة الموقف ، فهناك أخطار كثيرة تتهددنا وقالوا لنا في شجاعة وايثار : « ان من الأفضل لنا أن نموت على أن نترك الفيلة تقتل أبناء جيشنا ».

وفي احدى الليالي بعد أن تناولنا طعام العشاء روت لنا الأم « بوفا » قصة « الفيل الأعور والفيل الجني » .

« منذ زمن بعيد حين كنت لا أزال شابة يافعة حكى لي البعض أنه في الوقت الذي لم يكن نهر لونج قد انشعب الى مجريين ظهر قطيع من الفيلة مكونا من مائتي فيل يقوده فيل أعور مقدس جاب الهند وبورما وكمبوديا ثم اقتحم أخيرا قرية « لونج في » فدمر كل منازلها وأتلف محصولاتها وداس على رقاب العشرات من أهاليها فقضوا نحبهم ولما كانوا لا يملكون عدة ولا عتادا يقاومون بها هذا الهجوم الطارىء فقد لجئوا الى أغوار الكهوف العميقة يقاسون داخلها أشد ألوان العذاب والألم وشاءت الظروف السعيدة أن ترسل السماء في هذه الآونة « الفيل الجني » الى الارض لكي ينقذ الناس والمحاصيل من عدوان الفيلة المهاجمة وكان هذا الفيل يدعى أو - كونج - بودا . وفي أحد الايام جاء قطيع الفيلة مرة أخرى الى قرية لونج يقوده الفيل المقدس فانبرى الفيل الجني بسهمه لهذا الفيل القائد ودوت الرعود في السماء وتفجر البرق فقد نفذت طلقة حادة أطلقها الفيل الجني في احدى عيني الفيل المقدس فسقط على اثرها طريحا فوق الارض ومات بعد أيام قليلة ، وحين فقد القطيع قائده ولى الأدبار عائدا من حيث أتى ، ومن يومها لم نعد نسمع شيئا عن هذه الفيلة .

غير أن الفيل الجني بعد أن قضى بيننا شهرا كاملا عاد مرة أخرى الى السماء ومنذ ذلك الوقت المشهود والناس يسمعون في كل ليلة أنين الفيل المقدس يرجع صداه صراخ أشبه بالرعد يرسله الفيل الجني من السماء . وعرفانا من أهالي لونج بالجميل الذي أسداه لهم هذا الفيل الجني أقاموا له مزارا شاهقا ذكرى لهذا المنقذ العظيم ..

وحدث - يا أبنائي - خلال السنوات القليلة الماضية أن ظهر بالقرب من القرية قطيع مكون من أكثر من مائة وخمسين فيلا يقوده فيل مقدس آخر الحق بالقرى المجاورة خسائر فادحة ، وكان هذا القطيع أكثر عنفا وشراسة وقاسى الأهالي الكثير من الهول والرعب الذي سببه لهم لدرجة أنهم اضطروا الى النزوح في عام ١٩٥٣ - قبل وصول الكتائب الشعبية الى قرية لونج - الى أحد المعسكرات الفرنسية وطلبوا من القائد الفرنسي أن يقتل الفيل المقدس فاشترط عليهم أن يدفعوا له قبل أن يرسل رجاله مبلغ مائة ألف فرنك فرنسي فباع الأهالي كل شىء يملكونه لكي يجمعوا الاتاوة المطلوبة ، وأخيرا وصل الى قرية لونج اثنا عشر جنديا فرنسيا ببنادقهم حيث عسكروا بها، وبقوا فيها ثمانية أيام كانوا يرغمون الأهالي في كل يوم منها أن يأتوا لهم بعشرين دجاجة وأربعين بيضة وقدرا كبيرا من عصيدة الأرز ونبيذه ، كما ارغموهم أيضا على أن يحضروا لهم في كل ليلة اثنتي عشرة خادمة ، وفي اليوم الثامن وصلت الفيلة فاصطف الجنود الفرنسيون في شكل معركة واخذوا يتباهون ويتشدقون بأنهم سوف يطردون جميع الفيلة من المنطقة كلها ، ولم تستمر المعركة اليائسة أكثر من سويعات انتهت حين اندفعت الفيلة في عجيج وجلب طحنت بأقدامها سبعة من الجنود الفرنسيين وهشمت بنادقهم جميعا ولم يقتل في هذه المعركة فيل واحد ، بل على العكس أصبح القطيع أكثر ضراوة وشراسة ، وكان على أهالي قرية لونج ان يدفعوا مائة ألف فرنك أخرى تعويضا عن حياة الجنود الفرنسيين الذين ماتوا والبنادق التي تحطمت » .

وتنهدت الأم « بوفا » في يأس وحسرة ونظرت الينا بعينين حالمتين يملؤهما قلق واضح .

ومن قصتها أدركنا أنه ليس من الحكمة أن نلقى في المعركة بقوات كبيرة أمام الفيلة بل من الافضل أن نجند لها واحدا أو اثنين فقط من رجالنا فالمطلوب هو قتل قائد القطيع حتى يتفرق جميع أفراده ، وبعد مناقشة خطة الهجوم تطوعت أنا بأن أذهب في نفس الليلة لأقوم بهذه العملية ويومها أبدى الأهالي جميعهم - خاصة الأم بوفا - من العطف نحوى ما جعلني أشعر كما لو كنت جزءا من لحمهم ودمهم ، وأسرعت الأم بوفا بشواء أربعة كيزان من الذرة لي وخلعت منديلا أبيض من فوق رأسها وناولته اياي وهي تقول :

« خذ هذه الكيزان معك يا بني لتأكلها حين تجوع ، واذا رأيت الفيلة تطاردك فعلق هذا المنديل الابيض فوق احدى فروع أقرب شجرة لتصرف به اهتمامها عنك وعد الينا من أقصر الطرق » .

وحملت بندقيتي واتجهت بصحبة أحد الكهنة ورجل آخر يقوم بدور المرشد الى القرية ولم تستغرق المسافة مابين المعسكر وبينها أكثر من خمس عشرة دقيقة وكان القمر وقتذاك لائحا في السماء يرسل أشعته الذابلة فوق تلال قرية لونج الكئيبة التي لم يبق منها سوى أطلال قليلة متناثرة هنا وهناك فقد دمرتها الفيلة وأبادت معالمها ، وبينما كان الفيل يمر في تثاقل وسماجة كان الجو يزداد برودة وزمهريرا ولم يكن يصل الى أسماعنا بين الحين والآخر سوى نعيق البوم وأصوات صرير طائر الزيزان .

**فرائسة الحصاد :**

وانتظرنا حتى غرقت الجبال والأدغال وسط الضباب الابيض الكثيف وفجأة ربت الكاهن بيده في خفة فوق كتفي وقال لي بصوت هامس خفيض « ها هو الفيل المقدس قادم نحونا يا بنى ».

وفعلا تطلعت بعيني فرأيت جبلا ماشيا يتحرك في اتجاهنا كان ـ على الرغم من ضخامته يسير في رشاقة غزال يجري فوق أوراق شجر جافة ، ومر بنا فأحسست بقلبي يدق في انفعال عنيف وامتدت أصابعي بلهفة عاجلة تشد زناد بندقيتي ، ولكن الفيل ما كاد يسمع طقة الزناد حتى توقف في مكانه ورفع أذنيه ينصت في اهتمام ، غير أنه واصل سيره حين لم يعد يترامى الى سمعه صوت آخر ، لقد كان هذا الفيل هو الفيل ذو الناب الواحد الذي يقود القطيع والذي يطلق عليه الناس هنا اسم « الفيل المقدس الشرس » فتبعناه ونحن نمشي على أطراف أصابعنا حتى رأيناه يلوي خرطومه حول شجرة كاكاو يافعة فاقتلعها وانحنى عليها يلتهمها في نهم وشراهة وعندئذ وجدت الفرصة سانحة فصوبت بندقيتي نحو رأسه وأطلقت عليه رصاصي . الا أن هذه الطلقة لم تنل منه مقتلا اذ أنه اتجه بعدها نحونا وهو يضرب الأرض بقدميه في وعيد وتهديد ويهز خرطومه الهائل كما لو كان يريد أن يمسك بي ويخرجني من مخبئي فأسرعت بالاختباء خلف شجرة ضخمة وفي هدوء سددت الى رأسه طلقة محكمة أخرى هوى على أثرها من الألم والتفت الى جانبه ورفع شجرة كبيرة ألقى بها نحونا ثم جرى في رعب ينادي قطيعه الذي أسرع يلفه من كل حدب وصوب حيث حاصروا القرية وأخذوا يلقون بالأشجار ويقذفون بالمياه كالأمطار .وهنا حانت اللحظة الحاسمة الحرجة ، فعندما رأيت الكاهن قد أصيب في قدمه بجرح بالغ أشرت الى المرشد أن يحمله بعيدا وأن يحاول البحث أولا عن طريق يهرب به من هذا المكان لأنني قد قررت أن أبقى أقاتل هذا القطيع من الفيلة بمفردي حتى الموت .

وبعد أن ذهب رفيقاي حشوت بندقيتي برصاص جديد وتسللت الى حيث كان يقف الفيل القائد وأطلقت عليه رصاصتين أخريين أصابته في منطقة قاتلة فارتفع صراخه وعويله وسقط بعد ذلك على الارض مثلما يتساقط جبل يتصدع يتلوى ويئن ، ولم أكتف بهذا ، بل واصلت اطلاق النار عليه أربع مرات قبل أن يلفظ آخر أنفاسه وعندئذ علقت منديل الأم يوفا الأبيض على فرع احدى الاشجار وظللت أعدو بعيدا عن مكاني ، وحين ألقيت نفسي على بعد مناسب شاهدت الفيلة تأتي من كل الاتجاهات .. وانتظرت حتى رأيتها تنسحب فأطلقت عليها نيراني مرة أخرى لأوقفها عن الزحف ولكنها التفت اثرى لمسافة ثلاثمائة متر تقريبا ، غير أنها لم تستطع أن تنجح في هجومها لأنها قد فقدت قائدها فولت هاربة الى الأدغال تجري في ارتباك وفوضى ..

وعدت سعيدا بما وصلت اليه ، ولم أكد أبلغ منتصف الطريق حتى التقيت بالكاهن ومعه المرشد ينتظران أوبتي عند مأوى حصين فأسرعنا جميعا الى المعسكر لننقل الى الأهالي هذه الأخبار الطيبة ، ولدهشتنا ـ كما لو كان ذلك قد تم بفعل سحر ساحر ـ وجدنا المعسكر المظلم البعيد حيث كان أهالي قرية لونج قد اتخذوا منه ملجأ لهم بعد أن انهارت منازلهم وجدناه غارقا في أضواء أنوار كاشفة تنبعث من كل مكان فيه وقفز الجميع ... أصدقائي في الجيش وكل الرجال والنساء والفتيان والفتيات يصيحون بأعلى عقيرتهم في نشوة وسعادة ، لقد مات الفيل المقدس:

وها هو فيلنا الجني لا يزال حيا !! » « نعم .. نعم ها هو ذا الفيل الجني » « شكرا للسماء .. شكرا ليوفا ! » ...

وحين كانت هتافات الجميع تزلزل الفضاء رأيت الأم «يوفا» تنفجر في البكاء مرة أخرى وهي تحرق أعواد البخور وتحملق بعينيها في السماء البعيدة وتتمتم بصلواتها وأدعياتها.لم تكن دموعها هذه المرة هي دموع اليأس والشقاء بل كانت دموع الفرح والانتصار ...

وكانت هذه الليلة هي أسعد ليلة عرفها أهالي قرية لونج طيلة حياتهم .

وأخذت الفتيات يتملقن برفيقي والشبان يحملونني على أكتافهم ويجرون بي هنا وهناك خلال كل مكان في المعسكر ، والعجائز ـ رجالا ونساء ـ يقبلون نحوي ليطبع كل منهم قبلة حارة فوق رأسي . وانهالت جموع الناس من القرى البعيدة على قرية لونج يطلبون في احترام رؤيتي وهم يتساءلون :

« أين ذلك الابن الذي أرسلته السماء ؟ » « أين هو ذا ابن الجد هو ؟ » « أين فيلنا الجني ؟ » « دعونا نلقي عليه نظرة ».

وحين رأوا أنني لست سوى جندي عادي ارتدى ملابس الميدان البسيطة المصنوعة من القماش الغليظ صاحوا مهللين في ابتهاج واعتزاز « يالله ما أعظم البركات التي منحتنا اياها السماء ! ان فيلنا الجني شاب صغير ، كله رقة ولطف ! » .

وتبارى الجميع في وضع أكاليل الورود حول رقبتي عرفانا منهم بالجميل وتذكارا طيبا .

وبعد أن مات قائد الفيلة تفرق كل أعضاء القطيع وعاد أهالي قرية لونج كما عاد أهالي كل القرى الاخرى الى مواطنهم السابقة واستأنفوا حياتهم العادية ، وامتلأت الأكواخ الجديدة مرة أخرى بأغاني السعادة . ومنذ ذلك اليوم أصبحت أنادى بالاسم الجديد العزيز على قلب كل مواطن .. الاسم الذي منحوني اياه في اجلال عظيم واحترام عميق « الفيل الجني » .

ولن أنسى ماحييت تلك التهنئات القلبية الحارة التي أزجاها الي الفلاحون ، ولا هذه الفواكه الشهية التي جمعتها الفتيات من الأشجار المتناثرة على شواطئ جدول « لونج » وطلبوا الي أن أشاركهم أكلها وحين ترددت قليلا صاحت احداهن بمرح : أوه.. حسنا .. ان فيلنا الجني يخاف من الجنس اللطيف ! انه يحب أكل عصير السمك ! ويجيد عزف الهارمونيكا ولا زلت أذكر هذه الأمسيات التي كانت الأمهات يغنين الى قربها حاملات أطفالهن على أذرعهن وهن يقلن :

« انا نقدم اليك هذه الكعكة المباركة من المعبد » ...

ولم أعد أسمع عندما يأتي المساء بكاء الأم يوفا كما كانت تفعل من قبل بل كنت دائما أشم رائحة البخور تملأ كل أرجاء المنزل .

عبد الواحد الاباني



الثقافة
اسبوعية
تصدر كل ثلاثاء
الرسالة
اسبوعية
تصدر كل خميس
المجلة
شهرية
تصدر يوم (٥)
الشعر
شهرية
تصدر يوم (١٠)
القصة
شهرية
تصدر يوم (١٥)
مجلات
الثقافة والارشاد القومي